الموقف الدعوي للإمام الحبر والصحابي الجليل عبد الله بن عمر ﷺ من الفتن وأهل الأهواء

الدكتور

مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي

الأستاذ المساعد بمعهد إعداد الأئمة والخطباء

بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا بحث علمي ألقي الضوء من خلاله على المواقف الدعوية للإمام الحبر والعالم الجليل عبد الله بن عمر ﷺ من الفتن وأهل الأهواء، راجيا الله تعالى أن يكون هذا البحث إسهاما موفقا في إثراء الدراسات الدعوية التي تعتني بالتأصيل علم الدعوة، وبيان تلك الأصول التي يقوم عليها علم الدعوة، وهي الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ وما ثبت عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعا، وما ثبت عن تابعيهم، ومن سار على هداهم، كما أرجو أن يكون هذا البحث إسهاما نافعا في إثراء علم فقه الدعوة بالحديث عن الداعية وإعداده وكيفية الدعوة إلى الله وما يدعو إليه، وعن المدعو وما له من أحوال وحقوق، كما حرصت أن يكون هذا البحث مبينا للمنهج الدعوي القويم الوسطي المستقيم، الذي سلكه أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم عبد الله بن عمر ﷺ، في دعوة جميع الناس إلى رب الناس، وفق هدي النبي ﷺ، ذلك المنهج الدعوي الذي من سلكه من الدعاة سلم من الفتن والأهواء، وسلك صراط الله المستقيم، وأفلح في الدارين،

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل العلمي، وأن ينفعني به، وينفع به من قرأه من الدعاة وطلبة العلم، والله ولي التوفيق.

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تتلخص أهمية الموضوع فيه وأسباب اختياره فيما يلي:

١- إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم مصابيح الدجى، وخير هذه الأمة، وأعلمها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأفقهها في دين الله تبارك وتعالى، وهم على الحقيقة العلماء الربانيون القدوة، الذين ينهل كل مسلم وكل طالب علم من علمهم، فهم أول وخير من حفظ نصوص الكتاب والسنة، وفقهها، وعمل بها، وبلغها، وأداها، فمن سلك سبيلهم واقتدى بهم نجا وأفلح، وهدي وكفي، ومن تنكب عن طريقهم تجارب به الأهواء، وأوردته موارد الندم في الدنيا والآخرة.

٢- لقد ثبت عن النبي ﷺ «أن العلماء ورثة الأنبياء »[1]، ولا ريب أن كل من دعا إلى الله تعالى فقد ورث عن العلماء الوارثين هديه ﷺ، ولذلك فإنه لابد لكل داعية أن ينهل من المعين النبوي الصافي، ولا سبيل له إلى ذلك إلا بالتعرف على وصايا الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وفقه تلك الوصايا، وكذلك التعرف على أحوالهم وأفعالهم، وفقه تلك الأفعال والأحوال، فبذلك يكون الداعية على بصيرة بالكتاب والسنة، فلا فهم للكتاب والسنة إلا بفهم الصحابة، فهدي الصحابة قولا وفعلا وعلما هو ذلك المعين الذي يعود إليه الداعية، ويرجع إليه ويأخذ به ومنه كلما جدت فتنة أو انتشرت أهواء أو

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب العلم باب الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١)، ورواه الترمذي في كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٢)، وأحمد في المسند (٣٦/٤٥ رقم ٢١٧١٥)، من حديث أبي الدرداء، والحديث صححه ابن حبان وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٦٤١).

ظهرت بدعة، فطريق السلامة بلزوم هدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكل داعية لا يبني دعوته على هدي الكتاب والسنة وفقه الصحابة لهدي الكتاب والسنة، فدعوته ليست صوابا، ولا تسلم من أن تكون مشربة بأهواء وبدع تجعلها دعوة إلى غير السنة.

٣- لقد كان ابن عمر ﷺ من كبار علماء الصحابة، وقد روى أحاديث كثيرة عنه ﷺ، فكان عالما بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، كما أنه ﷺ كان شديد الملازمة لرسول الله ﷺ قبل موته، ثم لازم أباه وكبار الصحابة، فجمع بين ملازمته للنبي ﷺ وسماعه منه العلم، ومشاهدته أحواله وأفعاله كلها ﷺ، وبين ملازمته لبقية علماء الصحابة الذين كانوا أكبر منه سنا، وكذلك ملازمته لمن كان في مثل سنه من علماء الصحابة، فهو حبر بحر غزير العلم، ولا غنى لطالب العلم والداعية عن النظر فيما روي عنه ﷺ من العلم الغزير.

٤- لقد عمّر ابن عمر ﷺ، فأدرك بذلك أزمنة فتن، خاصة بعد وفاة الخليفة معاوية ﷺ، كما أدرك ابن عمر ﷺ زمن نشوء الأهواء وانتشارها، فقد عاصر زمن خروج الخوارج وظهورهم، وظهور التشيع، وظهور القدرية، وغير ذلك من الأهواء، فكان من السابقين في مجاهدة تلك الأهواء وأهلها وقمع تلك البدع، كما كان له السبق في توجيه الناس في أزمنة ظهرت فيها الفتن وكثر فيها سفك الدماء، فكانت له مواقف عملية، وأقوال مأثورة عنه، تمثل ينبوعا صافيا لا غنى لكل داعية عن وروده والنهل منه، مما يحفظ الدعاة من الوقوع في الفتن، والوقوع في الأهواء والبدع.

٥- إننا نعيش في زمان نطالع فيه ونسمع كل يوم مقالة أو مقولة أحد دعاة الأهواء والفتن، وهم يلبسون على الأمة وشبابها خاصة أمر دينهم، جاهدين في التأصيل لما يدعون إليه من الأهواء والفتن، ولعل هذا البحث أن يكون

شيئا من المساهمة في كشف بطلان المبطلين، من خلال بيان مواقف دعوية للإمام الحبر عبد الله بن عمر ﷺ في مواجهة أهل الأهواء، وكشف باطلهم، وبيان الموقف الصحيح للداعية من الفتن.

٦- إننا في زمن كثرت فيه الفتن وانتشرت فيه الأهواء، وكل يدعي أنه على الحق، وأنه يقول بالحق، وبه يعدل، وإليه يدعو، ولا ريب أن الحق مع من اهتدى بهدي الصحابة، وعاد إلى أقوالهم وأفعالهم، ففقهها وعمل بها ودعا إليها، فالميزان العدل الحق والذي يعرف به الهوى من الهدى والسنة من البدعة هو معرفة ما كان عليه الصحابة، وما فقهوا به كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

٢- الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة لوصايا ابن عمر ﷺ في مجال الدعوة إلى الله، فضلا على كوني لم أعثر على دراسة لوصايا ابن عمر ﷺ في مجال تخصص العقيدة.

٣- منهجي في البحث:

سأفيد من المنهج التاريخي والاستقرائي والاستنباطي في تأليف هذا البحث، فبالمنهج التاريخي جمعت الثابت من مواقف ابن عمر الدعوية ﷺ من الفتن وأهل الأهواء، وبالمنهج الاستنباطي سأدرس مواقف هذا الحبر دراسة تحليلية مستنبطاً، منها أبرز المسائل والنكت والفوائد الدعوية التي لا يستغني عنها مشتغل بالدعوة إلى الله في مواجهة الفتن وأهل الأهواء، ولا يستغني عنها في معرفة المنهج الشرعي الوسطي الدعوي في معاملة ولاة الأمور، والتي تثري بمجموعها علم الدعوة إلى الله، وبالمنهج الاستقرائي جمعت الآثار عن العلماء المعينة على فقه ما جمعته من مواقف هذا الحبر مع بيان أنّ كل ما جمعته من المواقف مستمدة من مشكاة النبوة.

ويمكن تلخيص ذلك في أمور:

١- استخراج مواقف ابن عمر ﷺ من الفتن وأهل الأهواء من كتب السنة من خلال استقراءٍ شامل لها، وسأحرص على أن لا أذكر إلّا ما صحّ عندي من مواقف هذا الإمام.

٢- دراسة كل موقف على حدة من خلال توضيح الجانب الدعوي المستنبط من كل موقف في موضوع هذا البحث، وبيان أنّ كل موقف وما سأبينه عليه من فقه دعوي مستنبطٌ من الكتاب والسنة.

٣- إيراد أقوال العلماء من السلف والتي تؤكد حتمية إتباع المواقف الدعوية لهذا الإمام في مجال هذا البحث، ومن ثم ربط هذا كله بالواقع الدعوي العملي .

٤- تخريج الآيات والأحاديث والآثار.

موضوعات البحث :-

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث :-

أ- المقدمة وتشمل:-

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره.

٢- الدراسات السابقة.

٣- منهجي في البحث.

ب- ١- المبحث الأول: نبذة من سيرة ابن عمر.

٢- المبحث الثاني: موقفه الدعوي من أهل الأهواء.

٣- المبحث الثالث: موقفه الدعوي في معاملة ولاة الأمور.

٤- المبحث الرابع: موقفه من الفتن.

ج- خاتمة:

د- الفهارس: وفيها فهرس المراجع وفهرس الآيات والأحاديث والآثار، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: نبذة من سيرة ابن عمر

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي المدني، وأمه هي زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي، فحفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها شقيقته فهي ابنة زينب بنت مظعون[١].

إسلامه:

أسلم ﷺ وهو صغير في مكة ولم يحتلم[٢].

هجرته:

هاجر ﷺ مع أبيه الفاروق رضي الله تعالى عنهما وهو صغير ولم يحتلم[٣].

غزواته:

لم يشهد ﷺ بدرا لصغر سنه، وقد استصغره النبي ﷺ يوم عرض عليه في

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٢٨٩/١)، وتاريخ بغداد للخطيب (١٧١/١)، والإصابة لابن حجر (١٨١/٤).
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٢٨٩/١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٦٥٣/١)، وتهذيب الكمال للمزي (٣٣٣/١٥).
(٣) الاستيعاب لابن عبد البر (٢٨٩/١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٦٥٣/١)، وتهذيب الكمال للمزي (٣٣٣/١٥).

أحد، فأول غزواته ﷺ الخندق[1]، وهو ممن بايع تحت الشجرة[2].

علمه:

لقد كان ابن عمر ﷺ - كما بيّنا من كبار علماء الصحابة -، فقد روى علما كثيرا عن النبي ﷺ، كما روى عن أبي بكر وعمر أبيه وعثمان وعلي، وعن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأخذ عنه العلم جمع كبير من كبار التابعين[3].

ثناء النبي ﷺ على ابن عمر ﷺ:

إن من عقيدتنا نحن أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول وكلهم أخيار، وسبقت لهم من الله تعالى الحسنى، ولقد بشرهم القرآن بذلك كما بشرهم رسول الله ﷺ، فإن من بشارة النبي ﷺ لابن عمر ﷺ في السبق في الخير وسلوك سبيل الصلاح والفلاح، ما ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: « نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل»[4]، وفي رواية أيضا في صحيح البخاري قال: « إن عبد الله رجل صالح »[5].

---

(١) الثقات لابن حبان (٣/٢٠٩)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/٦٥٣)، وتهذيب الكمال للمزي (١٥/٣٣٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الحديبية برقم (٤١٨٧) عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة وعمر لا يدري بذلك فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر.

(٣) تهذيب الكمال للمزي (١٥/٣٣٣)، والإصابة لابن حجر (٤/١٨٢)

(٤) رواه البخاري في كتاب أبواب التهجد باب فضل قيام الليل برقم (١١٢٢)، ومسلم في صحيحه كتاب باب من فضائل عبد الله بن عمر برقم (٢٤٧٩) من حديث عبد الله بن عمر.

(٥) رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عبد الله بن عمر برقم (٣٧٤١) وكذلك رواه مسلم في صحيحه كتاب باب من فضائل عبد الله بن عمر برقم (٢٤٧٨) من حديث عبد الله بن عمر.

ثناء الصحابة عليه:

إن الله تعالى أثنى على الصحابة فوصفهم بأنهم رحماء بينهم، قال تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩]، ومن صور ذلك التراحم معرفة كل واحد منهم حق أخيه عليه ومعرفة كل واحد منهم فضل أخيه، فقلوبهم متحابة لا يحمل أحدهم لأخيه غلا، ولا يحسده، فهم صفوة مختارة، اختارها الله تعالى لبيان دينه، وحمل رسالة رسوله، ولذلك فإنك إذا طالعت كتب السيرة والتي فيها تراجمهم، تجد أن الواحد منهم يثني على أخيه ويشهد له بالفضل والعلم، ولقد نال عبد الله بن عمر ﷺ حظا وافرا من ثناء الصحابة عليه ومن ذلك:

١-قال ابن مسعود ﷺ:إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر[١].

٢-وعن حذيفة ﷺ قال: ما منا أحد يفتش عنه إلا يفتش عن جائفة[٢] أو منقلة[٣] إلا عمر و ابنه [٤].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٩٤) وابن سعد في الطبقات (٤/١٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٩٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٠٥)، ورجاله كلهم ثقات إلا أن فيه انقطاع بين إبراهيم بن يزيد النخعي وابن مسعود فإنه لم يدركه، ولكن للحديث شاهد قوي عند أبي الطاهر والذهلي في فوائده – كما قاله الحافظابن حجر في الإصابة (٤/١٨٣) – من طريق بن عون عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بمعناه فوصله ولفظه لقد رأيتنا ونحن متوافرون فما بيننا شاب هو أملك لنفسه من عبد الله بن عمر. فالأثر صحيح.

(٢) الجائفة هي الطعنة الواصلة إلى الجوف. قاله ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (١/٨٤١).

(٣) المنقلة بفتح الميم وكسر القاف هي الشجة التي تنقل العظام أي تكسره حتى يخرج منها فراش العظام. مختار الصحاح (ص ٦٨٨).

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/٣٢٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٤٦٤): رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو سعد البقال وهو ضعيف وقد وثق. وقال ابن عدي في الكامل (٣/٣٨٥): وأبو سعد البقال كوفي حدث عنه شعبة والثوري وابن عيينة وغيرهم من ثقات الناس وله غير ما ذكرت من الحديث شيء صالح وهو في جملة ضعفاء الكوفة الذي يجمع حديثهم ولا يترك. ولكن له شاهد آخر عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٠٧) عن يوسف بن مهران قال: كنا عند جابر بن عبد الله الأنصاري في الحجر فمر عليه عبد الله بن عمر يطوف بالبيت فقال جابر بن عبد الله: من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين مضوا قبله وبعده لم يغيروا ولم يبدلوا أو كلمة شبيهة بهذه فلينظر إلى هذا يعني ابن عمر قال جابر: ما منهم أحد إلا وقد وأومى جابر بيده أي تناول. وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف قاله الحافظ ابن حجر في التقريب (ص ٤٠١ ترجمة ٤٧٣٤) فالأثر بمجموع الطريقين حسن الإسناد.

٣- ومن ثناء الصحابة عليه، ما قاله جابر ﷺ قال: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر[١].

ثناء التابعين عليه:

لقد وجد التابعون في ابن عمر ﷺ كغيره من الصحابة عالما ربانيا وعابدا تقيا فأخذوا عنه العلم وتأسوا به وأثنوا عليه ثناء كثيرا وافرا منثورا في كتب السير ومن ذلك:

١- قال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر[٢].

٢- وقال طاووس: ما رأيت أورع من ابن عمر[٣].

٣- وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه[٤].

زهده:

ليس هذا البحث مجالا لبيان الزهد المذموم والزهد الممدوح، وبيان الضوابط الشرعية التي أوضحت الزهد الممدوح من الزهد المذموم، لكن خلاصة القول في ذلك أن يقال: إن الزهد الممدوح والمرغب فيه من قبل الشارع هو ما

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٨٩٤/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩٨/١١)، والحاكم في المستدرك (٦٤٥/٣ رقم ٦٣٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٨/٣١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وابن حجر كما في الإصابة (١٨٣/٤).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٨٩٥/٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٧٢/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٣/٣١) وحسنه الحافظ في الإصابة (١٨٤/٤).

(٣) رواه أحمد في الزهد (ص١٩٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٩٨/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٣١)، وسند البيهقي صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٤) رواه أحمد في العلل ومعرفة الرجال (١٤٨/٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨٩/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٢/٣١)، وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات.

عرفه به شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: ((إن الزهد في الدنيا هو ترك ما لا ينفع في الآخرة))(١)

ولابد أن نوضح أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا وسطيين في كل أحوالهم وشؤونهم، ومن ذلك وسطيتهم في الزهد، والذي غلا في فهمه وتطبيقه أقوام انحرفوا عن السنة من بعد الصحابة والتابعين، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم لم تسكن الدنيا قلوبهم، مع أنهم رضوان الله تعالى عنهم كان منهم من عنده من الدنيا ومتاعها الشيء الكثير، وكانوا يتناولون أطايب الطعام وطيب الشراب، وكانوا ربما لبس الواحد منهم الثوب الفاخر وكل ذلك لم يجعل الدنيا تسكن في قلوبهم فهذه وسطيتهم في الزهد حيث إن زهدهم كان زهد قلوبهم في الدنيا وإن كانت الدنيا في أيديهم.

وهكذا كان حال ابن عمر ﷺ فقد قال نافع: ربما لبس ابن عمر الخز – يعني الثوب من الخز – ثمنه خمس مائة درهم(٢).

ويحسن بنا أن نذكر طرفا من أخبار زهده دون الإطالة في ذلك، لأن مقصدنا دراسة مواقفه الدعوية من الفتن والأهواء، وإليك طرفا من أخبار زهده ﷺ:

١- قال ﷺ: والله ما وضعت لبنة على لبنة ولا غرست نخلة منذ قبض رسول الله ﷺ (٣).

٢- ومن زهده قول ميمون بن مهران: دخلت على ابن عمر فقومت كل شيء في بيته من أثاث فلم يساوي مائة درهم(٤).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢١/١٠).
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦١/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٧/٣١)، ورجاله كلهم ثقات.
(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان باب ما جاء في البناء برقم (٦٣٠٣).
(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١٥٤/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥١/٣١)، ورجاله ثقات.

٣- ومن زهده في جمع الدنيا وكنزها ما رواه نافع قال: بعث معاوية ﷺ إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال عليه الحول وعنده منها شيء[١] - فتأمل معي تراحم الصحابة فيما بينهم -.

٤- ومن زهده في الدنيا ما ثبت أن عبد الله بن مطيع زار ابن عمر في آخر عمره فرآه قد نحل جسمه فكلمه فقال ابن عمر ﷺ: إنه ليأتي علي ثمان سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة أو قال إلا شبعة فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري شيئا[٢].

٥- ومن صور الزهد، الزهد في جاه الدنيا من الزهد في الرئاسات والإمارة ونحوها، ولقد كان ابن عمر ﷺ مثالا يقتدى به في ذلك، فقد روى نافع قال: بعث علي ﷺ إلى عبد الله بن عمر ﷺ فقال له: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام فسر فقد أمرتك عليهم، فقال ابن عمر: أذكرك الله إلا أعفيتني، فأبى علي، قال ابن عمر: فاستعنت عليه بحفصة فأبى فخرجت ليلا إلى مكة [٣]، وسيأتي طرف من أخباره في هذا الباب في مبحث موقفه الدعوي من الفتن.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٩٦/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤١/٣١)، ورجاله كلهم ثقات إلا محمد بن إسحاق فهو صدوق قاله الحافظ ابن حجر في التقريب (ص ٤٦٧ ت٥٧٢٥) وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢١٩/٣): وهو صحيح. وللحديث شاهد قوي رواه ابن سعد في الطبقات (١٤٨/٤) عن نافع قال: أتي بن عمر ببضعة وعشرين ألفا فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها قال لم يزل يعطي حتى أنفذ ما كان عنده فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه.

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص ٢١٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٢/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٢/٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٨/٣١)، وهذا السند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه نعيم بن حماد المروزي في كتابه الفتن (١٥٨/١)، وابن سعد في الطبقات (١٨٢/٤)، ورجاله كلهم ثقات إلا عبد الله بن نافع فهو ضعيف ولكن له متابع قوي من رواية أخيه عمر بن نافع وهو ثقة عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨١/٣١) وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢٢٤/٣): ورجاله ثقات.

خشيته لله:

كانت سيرة ابن عمر ﷺ سيرة حافلة بأقوال وأفعال رواها عنه الرواة تدل على عظيم خشيته لله تبارك وتعالى ومن ذلك:

١- أنه شرب ﷺ ماء باردا فبكى واشتد بكاؤه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل وهي قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[سبأ: ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شهوتهم الماء، وقد قال سبحانه في وصف حالهم أنهم يقولون: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[الأعراف: ٥٠] (1)

٢- وروى نافع قال: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين من خواتيم سورة البقرة يعني قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٨٤ - ٢٨٦] قال نافع: إلا بكى ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد (2)

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص١٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٩/٤ رقم ٤٦١٤)، ورجاله ثقات.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص١٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٥/١) ورجاله ثقات. ورواه ابن أبي شيبة (١١٨/٧) عن نافع أن ابن عمر ما تلا هذه الآية قط إلا بكى { إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله..}

والأمثلة كثيرة في هذا الباب، فقد كان ابن عمر ﷺ متعظا بما في القرآن من مواعظ.

٤- ومن عظيم خشيته لله ما ثبت أنه اجتمع في الحجر بأبناء الزبير عروة وعبد الله ومصعب فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، فقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة[1]

٥- ومن عظيم خوفه من الله تعالى: ما رواه نافع قال: دخل ابن عمر ﷺ الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: اللهم إنك تعلم أنه لا يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك[2]

تعبده لله:

لقد رسخت قدما ابن عمر ﷺ في تعبده لله تبارك وتعالى، فنقل عنه أصحابه ومن بعدهم الشيء الكثير في هذا الباب ومن ذلك:

١- قال نافع: كان ابن عمر ﷺ يحي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة إلى أن أقول: نعم أسحرنا، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٩/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦٧/٤٠)، وصححه الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (١٨٧/٤)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٦٤٦/٣ رقم ٦٣٧٠)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٢/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩١/٣١)، ورجاله كلهم ثقات إلا عبد العزيز بن أبي رواد فهو صدوق قاله الحافظ في التقريب (ص ٣٥٧ ترجمة ٤٠٩٦). ولم يعلق عليه الحاكم والذهبي.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٦٠/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٤/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٣١)، وجود إسناده الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (١٨٧/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٦/٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

٢-ومن عنايته بقيام الليل وإحياءه بالصلاة، ما ثبت عنه أنه كان له مهراس[١] فيه ماء، فيصلي فيه ما قدر الله تعالى ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطائر ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمس[٢].

٣- ومن اشتغاله بالعبادة حياته كلها، ما جاء أن أناسا سألوا نافعا فقالوا: ما يصنع ابن عمر في منزله ؟ - يعنون من العبادة - فقال: شيء لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما - يعني ما بين الصلاتين -[٣].

٤- ومن عنايته بأداء الفرائض في جماعة، وحرصه على إكمال ما قد يحدث من نقص في أدائها في جماعة، ما رواه نافع قال: كان ابن عمر ﷺ إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته[٤]

٥- وكان ابن عمر ﷺ كثير الصيام، قال نافع: كان ابن عمر لا يصوم في السفر، ولا يكاد يفطر في الحضر [٥]

---

(١) المهراس هو حجر منقور ضخم يتوضأ منه ويدق فيه. انظر مختار الصحاح (٧٠٥/١)
(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٩/٣١)، والبيهقي في سننه (١١٩/١ رقم ٥٨٢) وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢١٥/٣): ورجاله ثقات.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١٥٩/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٣١)، وصححه الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٨٧/٤).
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٣/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٣١)، وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢١٥/٣): ورجاله ثقات.
(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥٦٤/٢ رقم ٤٤٧٥)، وابن سعد في الطبقات (١٣٨/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٠/٣١)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٨٧/٤): إسناده جيد.

محبته للنبي ﷺ وحرصه على متابعته:

ما من مسلم في الأرض إلا وقلبه محب لرسول الله ﷺ، ويتفاوت المسلمون في شدة إيثارهم حب النبي ﷺ على أنفسهم أو أهليهم أو على ما رزقهم الله من متاع الدنيا، ولقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أشد الناس محبة للنبي ﷺ وأصدقهم في ذلك، ولذلك فإنك تجد في سيرة ابن عمر ﷺ ما يدل على أن الصحابة جميعا كانوا أشد الناس حبا لرسول الله ﷺ وأصدقهم في ذلك، وكانت محبتهم محبة أساسها في القلب، وثمرتها حسن الإتباع من العمل بالسنة، وكذلك الدعوة إلى هذه السنة والذب عنها، وحياة ابن عمر ﷺ زاخرة حافلة بما يدل على صدقه في محبة النبي ﷺ، وبما يدل على حرصه على شدة متابعة النبي ﷺ ومن ذلك:

١- أنه لم يذكر النبي ﷺ عند ابن عمر إلا بكى [1].

٢- ولقد كان ابن عمر ﷺ حريصا على البقاء والثبات على ما كان عليه أثناء حياة النبي ﷺ، كما أنه كان حريصا على الثبات على ما كان عليه هو والصحابة رضي الله تعالى عنهم من حسن الإتباع لرسول الله ﷺ، فلقد قال: ((إني لقيت أصحابي على أمر وإني أخاف إن خالفتهم أن لا ألحق بهم))[2].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/١٥٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٢٥)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/١٨٧): إسناده حسن.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/١١٧)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/٣٤٦ برقم ٢٩٧٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/١٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١١٢). ورجاله كلهم ثقات.

سخاؤه وكرمه وإنفاقه في سبيل الله:

ضرب ابن عمر ﷺ أحسن الأمثلة وأروعها في الجود والكرم، جود يبعث عليه طلب الآخرة والزهد في الدنيا، وسيرته ﷺ مليئة بذلك، ولا يمكننا أن نسهب في ذكر العديد من أخباره في هذا الباب، ولكن أذكر بعض ذلك:

١- قال نافع: ما أعجب ابن عمر ﷺ شيء من ماله إلا قدمه[(١)].

٢- قال نافع: إن كان ابن عمر ﷺ ليفرق في المجلس الواحد ثلاثين ألفا، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل مزعة لحم[(٢)].

٣- قال نافع: ما مات ابن عمر ﷺ حتى أعتق ألف إنسان[(٣)].

٤- ومن جوده وطلبه الآخرة: ما جاء أنه ﷺ لا يأكل طعاما إلا وعلى خوانه يتيم[(٤)].

وهناك جوانب كثيرة من سيرة ابن عمر ﷺ كجانب حرصه على توثيق أواصل المحبة بينه وبين عموم المسلمين، وجانب تواضعه، وإفتاءه وتورعه في الإفتاء، لا يتسع هذا البحث لبيانها، وإنما أوردنا الجوانب التي لا غنى لقارئ هذا البحث عن الإطلاع على طرف منها.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٦/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٣/٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٥/١) ورجاله ثقات إلا عبد العزيز بن أبي رواد فهو صدوق قاله الحافظ ابن حجر في التقريب (ص ٣٥٧ ترجمة ٤٠٩٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٦٠/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٦/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤١/٣١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٧/٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير برد بن سنان وهو ثقة.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٩٦/١)، وصححه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١٨/٣-٢١٩).

(٤) رواه أحمد في الزهد (ص١٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٩/١) وصححه الألباني في الأدب المفرد (ص ٦٠).

وفاته:

توفي ﷺ بمكة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: أربع وسبعين، وقد بلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاماً ﷺ ورحمه[1].

المبحث الثاني: موقفه الدعوي من أهل الأهواء.

لقد تلقى الصحابة جميعاً علمهم الغزير بدين الله من في رسول الله ﷺ حيث كانوا يسمعون منه العلم ويحفظونه ويفقهونه ويعملون به ويعلمونه من بعدهم، فكانوا علماء عاملين سائرين على طريق الوسطية الذي أرشدهم إليه ﷺ، فلم يلتفتوا إلى شبهة مبطل وزيغ زائغ، ولم يخوضوا في فتنة تصرفهم عن الصراط المستقيم، ولقد كان لهذه الوسطية في دين الله والتي وفقهم الله إليها وثبتهم عليها، الأثر الظاهر المعلوم في نجاتهم من الفتن ومجاهدتهم لأهل الأهواء وقمعهم لبدعهم، وقيامهم بأداء ما أوجب الله عليهم تجاه من ولاه الله أمرهم على تفاوت أولئك الولاة في العدل والفضل، وابن عمر ﷺ من الصحابة الذين عاشوا في زمان كثرة فيه الفتن من التنازع على الملك، والاقتتال عليه، والتنافس في طلب الإمارة، وظهور أمراء الجور في الأمة الإسلامية كالحجاج بن يوسف، كما عاش في زمن نبتت فيه أهواء وظهرت فيه بدع عظام، كالتكفير للمسلمين والتشيع وإنكار القدر، فكان ابن عمر ﷺ كالطود العظيم في علمه بما جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من أحاديث تبين للمسلمين على وجه العموم، وللقائمين بالدعوة على وجه الخصوص، المنهج القويم الوسطي في التعامل مع الفتن وأهل الأهواء وكيفية معاملة ولاة الأمر، ذلك المنهج الذي أرشد إليه رسول

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١/٢٨٩)، وتهذيب الكمال للمزي (١٥/٣٤٠)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/٦٥٥) والإصابة لابن حجر (٤/١٨٧)

الله ﷺ وأمر بلزومه وحذر من التنكب عنه، إن حبراً وعالماً ربانياً من علماء الصحابة كابن عمر ﷺ كثير الأتباع وعظيم المكانة لم يكن لكل داعية غنى عن التعرف على مواقف هذا الحبر من الفتن وأهل الأهواء، والتعرف على كيفية التعامل مع ولاة الأمر وفق هدى النبي ﷺ، وسأعرض بإذن الله لجمع من مواقفه الدعوية، والتي يتحتم أن يسترشد بها كل من اشتغل بالدعوة إلى الله.

وقد قدمنا التأكيد على أهمية عناية الداعية بدراسة مواقف الصحابة ووصاياهم واستنباط الدروس الدعوية من ذلك والتي من شأنها إرشاد كل من جعل الدعوة إلى الله همه وهمته إلى المنهج القويم الذي من سلكه نجا وأفلح.

تمهيد:

ما المقصود بأهل الأهواء والبدع؟

لابد لنا من معرفة المقصود بالبدع والأهواء لغة واصطلاحا، قبل أن نشرع في بيان موقف العالم الرباني والحبر ابن عمر ﷺ من أصحاب البدع والأهواء، فنقول وبالله التوفيق.

١- أما في اللغة: البدع: جمع بدعة (بدع) الباء والدال والعين أصلان، أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال، فالأول قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلا إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، الله بديع السموات والأرض، والعرب تقول: ابتدع فلان الركي إذا استنبطه، وفلان بدع في هذا الأمر قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾[الأحقاف: ٩] أي ما كنت أول، والأصل الآخر قولهم: أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت، وأبدع بالرجل إذا كلت ركابه أو عطبت وبقي منقطعاً به[١].

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا (١/ ٢٠٩-٢١٠).

وقال في المعجم الوسيط: (بدعه) نسبه إلى البدعة، (ابتدع) أتى ببدعة، والشيء بدعه، (تبدع) أتى ببدعة وصار مبتدعا، والبدعة ما استحدث في الدين وغيره[1].

٢- وأما تعريف البدعة اصطلاحا: فقد تنوعت عبارات علماء السلف في تعريف البدعة اصطلاحا، وإن كانت تجتمع تلك العبارات في توصيف البدعة، ومما ذكره العلماء المحققون في تعريفها.

قال الشاطبي: ((طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه))[2]

وقال الحافظ ابن رجب في تعريف البدع: ((والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة))[3].

قال السيوطي في تعريف البدعة: ((البدعة عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان))[4]

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية البدعة بقوله: ((البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولا على عهد النبي ﷺ أو لم يكن))[5]

---

(١) المعجم الوسيط (٤٣/١).
(٢) الإعتصام (٣٧/١).
(٣) جامع العلوم والحكم (ص٢٦٥).
(٤) الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (ص٨٨).
(٥) مجموع الفتاوى (١٠٧/٤-١٠٨).

وتعريف شيخ الإسلام كما ترى تعريف جامع مانع وهو المختار عندي.

٢- الأهواء: جمع هوى وهو ما كان انحرافا عن الصراط المستقيم، ومخالفة للحق واتباع لما لم يشرعه الله ورسوله، فكل صاحب بدعة صاحب هوى إذ لم يجعله يقع في بدعته إلا إتباعه هواه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء، ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة))(١)

وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تنهى عن البدع والأهواء، وتحذر من الوقوع فيها، ولا يتسع مجال هذا البحث للاستطراد في إيراد تلك النصوص، ولكن نشير لبعضها:

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

قال البغوي: ((﴿ وَأَنَّ هَذَا ﴾ أي :هذا الذي أوصاكم به في هاتين الآيتين ﴿ صِرَاطِي ﴾ طريقي وديني ﴿ مُسْتَقِيماً ﴾ مستويا قويما ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع ﴿ فَتَفَرَّقَ ﴾ فتميل ﴿ بِكُمْ ﴾ وتشتت ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ عن طريقه ودينه الذي ارتضى وبه أوصى ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الذي ذكرنا ﴿ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾))(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٤١٤).
(٢) تفسير البغوي (ج٢/١٤٢).

وأما من السنة فما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[١]، وفي رواية « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢]

وقال ابن رجب: ((وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: « الأعمال بالنيات » [٣] ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء))[٤]

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في النهي عن البدع فهي كثيرة مبثوثة في كتب السنة، ولكني ابتدأ معك أيها القارئ الموفق تأملنا في مواقف ابن عمر الدعوية التي تضمنت نهيه عن البدع، ومجاهدته لأصحابها، وسيأتي عند بياننا ذلك ذكر العديد من الآثار عن علماء السلف والتي حذروا فيها من البدع والأهواء وأهلها.

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة برقم (١٧١٨).
(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة برقم (١٧١٨).
(٣) رواه البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ رقم (١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات برقم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.
(٤) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦).

١- تحذير ابن عمر ﷺ من البدع وبيان خطرها:

إن المتأمل لسيرة ابن عمر ﷺ يجدها سيره مباركة حافلة بإتباع السنة والدعوة إليها، فقد كان ﷺ يبالغ في شدة متابعته للنبي ﷺ حتى قال نافع: ((لو نظرت إلى ابن عمر ﷺ إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلت: هذا مجنون))[(١)].

كما أن الناظر في سيرة هذا الإمام الحبر يجدها سيرة مليئة بمواقف راسخة في طريق مجاهدة أهل الأهواء وقمع بدعهم، فقد كان يحذر من البدع ويبين خطرها، ومن ذلك قوله: ((كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة))[(٢)]، وهذا التوجيه منه قد أخذه من معرفته لما كان عليه النبي ﷺ من التحذير للأمة من البدع، وبيانه عليه الصلاة والسلام خطر البدع على العبد المسلم في الدنيا والآخرة.

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول إذا خطب: « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة »[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في الزهد (ص١٩١)، والحاكم في المستدرك (٦٤٧/٣ برقم ٦٣٧٦)، وابن سعد في الطبقات (١٤٤/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٠/٣١) ورواه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف (١١٧/٧) - وابن سعد في الطبقات (١٤٤/٤) من طريق عبد الله بن نمير عن عاصم الأحول عمن حدثه عن ابن عمر وهذا السند رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع بين عاصم وابن عمر وللحديث شاهد من حديث عائشة عند ابن سعد في الطبقات (١٤٥/٤) ولكن فيه عبد الله بن المؤمل فيه كلام يسير فالأثر حسن الإسناد بهذه الطرق الثلاث.

(٢) رواه نعيم بن حماد المروزي في كتابه السنة (ص٢٤)، وابن بطه في الإبانه الكبرى (٣٣٩/١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٢/١)، وابن الوضاح في كتابه الباعث على إنكار البدع (ص ١٧) وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز (ص ٨٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة برقم (٨٦٧).

قال القرطبي: ((وقوله ﷺ: « شر الأمور محدثاتها » يعني: المحدثات التي ليس لها في الشريعة أصل يشهد لها بالصحة والجواز، وهي المسماة بالبدع، ولذلك حكم عليها بأن كل بدعة ضلالة، وحقيقة البدعة: ما ابتدئ وافتتح من غير أصل شرعي، وهي التي قال فيها ﷺ: « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»))(١).

ولقد دأب علماء الصحابة على التحذير من البدع ومن ذلك:-

١- عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ((سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن فجادلوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)) (٢).

٢- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وعليكم بالأمر العتيق))(٣).

٢- تحصينه لقلبه من الأهواء :

إن طريق النجاة والفلاح والهداية والعافية في الدارين يحصل للمسلم بسلوك الصراط المستقيم المتمثل في إتباع هدي الكتاب والسنة، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على ملازمة ما تركهم عليه

---

(١) المفهم في شرح صحيح مسلم للقرطبي (٥٠٨/٢).

(٢) رواه الدارمي في سننه (ج١ /٦٢ رقم ١١٩)، والاجري في الشريعة (ص ٥٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٠/١ برقم ٨٣-٨٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٣/١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٨٦/١٤) ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع بين عمرو بن عبد الله بن الأشج وعمر بن الخطاب قاله أبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل (١١٨/٦).

(٣) رواه أحمد في الزهد (ص ١٦٢)، والدارمي في سننه رقم (٢٠٥)، والطبراني في الكبير (١٥٤/٩ رقم ٨٧٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٢ رقم ٢٢١٦)، وأبو خيثمة في العلم (ص ١٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٤/١): ورجاله رجال الصحيح، وقال العجلوني في كشف الخفا (ص ٣٥): وسنده صحيح.

رسول الله عليه الصلاة والسلام من الهدى، ويحذرون من الوقوع في الأهواء والبدع.

لقد نشأ ابن عمر ﷺ في رياض السنة والاستنارة بنورها والاهتداء بضياءها، فقد تلقاها من في رسول الله ﷺ ومشاهدة أفعاله وأحواله، فتشرب قلبه ذلك كله فكان قلبا سليما ومستقيماً على السنة، لا يرضى بها بديلا، ولا يميل إلى سواها، كارهاً لما يضادها أو يغيرها أو يبدلها، ثابتاً على سبيل الأخذ بها، والعناية بتطبيقها، وكان ابن عمر مع ثباته على طريق السنة شاكراً لله تعالى على هذا الهدى والثبات عليه، فقد كان يستشعر إحسان الله إليه بأن هداه لهذا الخير فهو يقول ﷺ: ((لا أعلم شيئاً في الإسلام أفضل عندي من أن قلبي لم يخالطه شيء من هذه الأهواء المختلفة))[1]

وإذا تأملنا هذه المقولة المباركة عنه، فإننا نجد حرصه على سلامة قلبه من أن يلج إليه شيء من الزيغ عن السنة، فإن الثبات على الحق يتطلب ممن أراده أن يأخذ بما أوصى به الكتاب العزيز، فقد أوضح القرآن أن العلم النافع والدعاء سببان من أسباب الحفظ من الزيغ، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[آل عمران: ٧ – ٨] فالرسوخ في العلم، سبب في حفظ العبد من أن يلج إلى

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١١٧/٧)، وابن سعد في الطبقات (١٥٩/٤)، وأبو القاسم بن إسماعيل الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة باب وإياكم والتبدع (١/ ٣٣٠) ورجاله ثقات إلا الفضل بن ميمون ففيه كلام يسير، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/٩) فالحديث حسن لغيره.

قلبه شيء من الأهواء، كما أن اللجوء إلى الله بكثرة دعائه أن يقي سبحانه قلب عبده من تشرب شيء من الأهواء سبب من الأسباب النافعة في ثبات القلب على الحق وسلامته من الأهواء[١].

ولقد كان ابن عمر ﷺ إماماً في العلم بما جاء عن الله ورسوله، وهو حين ما يقول هذه المقولة الموفقة إنما يريد بعد شكر الله تعالى تنبيه من يأخذ عنه العلم إلى أن أساس النجاة من الأهواء هو إقامة القلب على طريق السنة، فمن أشرق في قلبه نور الحق ووقر في جوانحه عوفي وسلم ولا يكون ذلك إلا بعلم من الكتاب والسنة وحذر من التبديل والتغير والزيغ، ولذلك فإنه يطالعك قوله ﷺ: ((إني تركت أصحابي على أمر أخاف أن أبدله))[٢]

ولا ريب أنه ﷺ يريد بهذا التنبيه أيضاً إلى أن الأهواء تسري إلى القلوب بتزيين الشيطان لها، وبزخرفة دعاتها لها، فمن قل علمه وضعف بصيرته تشربها قلبه أو شيء منها، وهذا يحتم على الدعاة إليه سبحانه المبتغين الثبات على الحق، والدعوة إليه أن يكونوا أولي بصيرة بهدي الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة ومن سار على هداهم، فيعرضوا كلما يدندن به أهل الأهواء والبدع على ما عندهم من علم نافع، قال أبو الدرداء ﷺ: ((لن تضل ما أخذت بالأثر))[٣].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي (ص١٢٢).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٧/٧)، وسعيد بن منصور في سننه (٣٤٦/٢ برقم ٢٩٧٤)، وابن سعد في الطبقات (١٣٥/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٢/٣١). ورجاله كلهم ثقات.
(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبري (٣٥٣/١)، وجاء نحوه عن شريح القاضي عند الدارمي في سننه برقم (١٩٨).

٣- بغضه لأهل البدع وإنكاره عليهم:

إن كل صاحب بدعة يعتقدها أو يعمل بها على ضرب من الانحراف عن الحق والهدى، ويعظم بُعده عن الصراط المستقيم بحسب نوع بدعته، فمن كانت بدعته عظيمة في الاعتقاد كالخوارج والجهمية كان أشد بعداً ممن كانت بدعته دون ذلك، وهذا الانحراف مضاد للسنة المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام، ومقترف هذا الانحراف عاصٍ لله ورسوله، قد حاد ببدعته عن ما أمره الله ورسوله أن يلزمه من الحق.

ونحن مأمورون بالحب في الله والبغض في الله قال الرسول ﷺ: «إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»[1]. وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »[2].

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[3]. ولابد من التنبيه إلى قضايا عقدية مهمة وهي:

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (١٨٥٤٧)، من حديث البراء بن عازب ﷺ، وسنده حسن قاله شعيب الأرناؤوط في تحقيقه المسند. ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٧٤٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦/١) من حديث البراء بن عازب ﷺ بلفظ: " أوثق عرى الإيمان.."

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (٣٧٩٠)، والحاكم في المستدرك (٥٢٢/٢ رقم ٣٧٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٠٤٤٣)، والطبراني في الكبير (٢٢٠/١٠ رقم ١٠٥٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩/٧)، والحديث صححه الحاكم حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٧٢ رقم ٩٩٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب السنه باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه حديث رقم (٤٦٨١). والطبراني في الكبير (١٣٤/٨ رقم ٧٦١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣٠/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢/٦)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)

١-أن البغض لصاحب البدعة يكون من حيث كيفيته وقدره بحسب نوع البدعة التي لازمها صاحب البدعة فلا نبغض من وقع في بدعة عظيمة في الاعتقاد كالخوارج كبغضنا لمن وقع في بدعة دون ذلك.

٢- إنه ليس كل من وقع في بدعة فهو مبتدع فقد يقع الإنسان في بدعة وهو جاهل لا يعلم أنها بدعة أو هو متأول لما وقع فيه من البدعة فهو يرى أن ما أتاه ليس ببدعة.

٣- إن كل مسلم له حق على أخيه في محبته له في الله لإسلامه وإيمانه ولا يبغض إلا بالقدر الذي اقترفه من مخالفة للسنة، فهناك أصل ثابت وهو الأخوة الإسلامية لا يضاده ولا ينافيه البغض لبدعة ما [١].

وكان ابن عمر ﷺ يحرص على العناية بلزوم تحقيق عرى الإيمان في قلبه، ومنها عروة الحب في الله والبغض في الله.

ومن البغض في الله بغض من تلبس بالبدع والبراءة من بدعته والإنكار عليه، وهذا ما كان يأخذ به ابن عمر ﷺ ويصدع به.

فعن يحي بن يعمر[٢] قال: ((كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني[٣]، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[٤] حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٩٤/١٥)، ورسالة قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام (ص ٩) في ضابط المحبة والبغض لله.

(٢) قال ابن حجر في التقريب (ص٥٩٨ رقم ٧٦٧٨) يحي بن يعمر بفتح التحتانية والميم بينهما مهملة البصري نزيل مرو وقاضيها ثقة فصيح وكان يرسل من الثالثة مات قبل المائة وقيل بعدها.

(٣) قال ابن حجر في التقريب (ص٥٣٩ رقم ٦٧٧٦): معبد بن خالد الجهني القدري صدوق مبتدع وهو أول من أظهر القدر بالبصرة قتل سنة ثمانين.

(٤) قال ابن حجر في التقريب (ص ١٨٢ رقم ١٥٥٤) حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري ثقة فقيه من الثالثة.

فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والأخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم -وذكر من شأنهم- وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر))[1]. وأنت تلاحظ في هذا الأثر أموراً لابد من بيانها:

١- المكانة العلمية التي منّ الله بها على هذا الحبر الرباني عبد الله بن عمر حيث كان مقصداً لطلبة العلم في زمانه، ينهلون من علمه بالكتاب والسنة وفقه ما يصلح به دينهم، وأنه حصن لهم من الأهواء، فقد جاءه المستفتيان من العراق والذي ظهر فيه حينها أنماط من البدع ومنها مسلك القدرية.

٢- أن هذين المستفتيين لابن عمر ﷺ هما من علماء الأمة كما بينا في ترجمتهما ومع ما أوتيا من العلم فإنهما كانا حريصين على أخذ العلم ممن هو أعلم منهما.

٣- أنه بعد أن ذكر هذان العالمان ما كان في بلادهما من ظهور بدعة القدر، جاء جواب عبد الله ابن عمر ﷺ إعداداً لهما للقيام بواجب إنكار ما كان في بلادهما من بدعة

إنكار القدر، وهكذا يجب على كل داعية أن يحذر من البدع ويبين خطرها ويحذر من دعاتها.

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والاسلام والاحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه رقم (٨).

٤- أنك تجد في جواب ابن عمر ﷺ المتقدم شدته على منكر القدر وإغلاظه في النكير عليهم، فقد تبرأ منهم ثم أقسم قسماً مبنياً على العلم من الكتاب والسنة أن الله لا يقبل منهم عملاً حتى يؤمنوا بالقدر، وهذا يدل على صدعه بالحق وجهره بإنكار البدع والإنكار على دعاتها، ولم يخف في الله لومة لائم، فتأمل معي قوله: ((فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني)).

وما ذكرناه هو طريقة السلف جميعاً من حيث بغضهم للبدع وأصحابها وإنكارهم عليهم وصدعهم بهذا الإنكار.

عن ابن عباس ﷺ أنه قال: ((ما في الأرض قوم أبغض إلي من أن يجيئني فيخاصموني من القدرية في القدر، وما ذاك إلا أنهم لا يعلمون قدر الله، وأن الله عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))[1].

وكان ابن سيرين شديد البغض للقدرية[2].

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله يعني إمامنا أحمد رحمه الله: ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ قال المروزي: فكلح في وجهي وقال: إذا هو صام وصلى، واعتزل الناس أليس إنما هو لنفسه؟ قلت: بلى قال: إذا تكلم كان له ولغيره يتكلم أفضل[3].

وهنا مسألة دعوية ذات أهمية بالغة وهي كيف يمكن للداعية أن يوازن بين دعوة أصحاب البدع بالتألف لهم على الحق، وبين الإنكار عليهم، وكيف يوازن بين حذره من إثارة الفتنة حينما ينكر على أهل البدع، وبين وجوب إنكاره عليهم،

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في كتابه السنة (٢/٤١٧)، والآجري في الشريعة (ص ٢١٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/١٦٤)، وجعفر الفريابي في القدر (ص١٧٥)

(٢) رواه الآجري في الشريعة (ص ٢١٩)، وابن بطة في الإبانة (٢/٤٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٤٠).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (١ / ٢١٠).

ويظهر لي أن الفقه في هذه المسألة يكمن في النظر في حال الداعية، وحال المبتدع وما يترتب على الإنكار، فيتجلى في أنه لا يكون الإنكار على رؤوس أهل البدع بذكر أعيانهم على وجه التحذير إلا من العلماء الراسخين في العلم، الذين يملكون الأهلية العلمية ويزنون بين درأ المفاسد وجلب المصالح، وبين تقديم درأ المفسدة الأكبر على درأ المفسدة الأصغر، وتقديم جلب المصالح العليا على المصالح الأقل منها، كما كان ذلك هو حال ابن عمر ﷺ، وأما النظر في حال المبتدع فيتجلى في معرفة كونه رأسا من كونه تابعا، وهل يجدي تألفه على الحق واللين في دعوته أم لا؟، وهل يندفع خطر دعوته للبدعة وانتشارها بذكر بدعته دون ذكره، أم لابد من التحذير منه على وجه التعيين؟، وأما النظر في مصلحة الدولة المسلمة فيظهر في معرفة الداعية جزئية مهمة، وهي هل تحذيره على وجه التعيين يثير فتنة في بلده تضر به وبأتباعه وبالدعوة؟، وربما تفرق كلمة أهل بلاده أم أنه لا يحصل ذلك، فالأمر موكل إلى منزلة الداعية وسعة علمه وبعد نظره وحكمته.

٤- السلام على أهل البدع:

إن من المعلوم أن الأهواء والبدع لا تظهر وتنتشر في المجتمع المسلم إلا بما يبذله دعاتها من دوام الاشتغال بالدعوة إليها، سالكين كل سبيل يمكنهم من خلاله دعوة الخلق إلى اعتقاد ما يدعون إليه من البدع والعمل به، وكل ما كان دعاة الحق ماضين في طريق الإنكار على أهل الأهواء والبدع مفندين لضلالتهم مبطلين لها، كانت السنة ظاهرة، والبدعة مقموعة خفية يتخفى بها أهلها، ولم تظهر البدع في المجتمعات الإسلامية إلا بتغلغل دعاتها في المجتمعات الإسلامية، واشتغالهم بالدعوة إليها، ولم يحصل لهم ذلك إلا بضعف دعاة الحق عن القيام بواجب مجاهدة أهل الأهواء بالعلم النافع، والتضييق عليهم، ومنابذتهم.

ومن مجالات ذلك التضييق والمنابذة هجران دعاة السنة لكل من ثبت عنه دعوة إلي بدعة بشتى صور الهجر، ومن تلك الصور ترك السلام عليهم، ويجدر بي أن أشير إلى أن الهجر للمبتدع والذي من صوره ترك السلام عليه له أصل من الكتاب والسنة وعلماء الصحابة والتابعين.

وليس هذا البحث مجال ذكر الأدلة على مشروعية هجر المبتدع، وإنما المراد هنا بيان أن ترك السلام على المبتدعة ورده عليهم من الدين الحنيف، وقد كان هذا المسلك في معاملة أهل الأهواء من هديهم، ومن ذلك:

١- أن سعيد بن جبير لم يرد السلام على رجل مر به يقال له ذر[١]، فشكا الرجل سعيد بن جبير إلى أبي البختري[٢] فقال: مررت فسلمت علي سعيد بن جبير فلم يرد عليّ فقال أبو البختري لسعيد بن جبير: إن ذرا شكا أنك لم ترد عليه السلام فقال سعيد: إن هذا يجدد كل يوم ديناً، لا والله لا أكلمه أبدا [٣].

٢- عن حماد بن زيد[٤] قال: كنت مع أيوب ويونس[٥] وابن عون[٦] وغيرهم،

(١) هو ذر بن عبدالله المرهبي، ثقة عابد رمي بالارجاء مات قبل المائة. تقريب التهذيب (ص٢٠٣ رقم ١٨٤٠).

(٢) هو سعيد بن فيروز أبو البختري، ابن عمران الطائي، مولاهم الكوفي ثقة ثبت فيه تشيع قليل، مات سنة ٨٣ تقريب التهذيب (ص٢٤٠ رقم ٢٣٨١).

(٣) رواه عبدالله بن أحمد في كتابه السنة (ج١ / ٣٢٨).

(٤) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو اسماعيل الانصاري ثقة ثبت فقيه مات سنة تسع وسبعين ومائة التقريب (ص١٧٨ رقم ١٤٩٨).

(٥) أيوب بن تميمة: كيسان السختياني، ابو بكر البصري، ثقة ثبت، من كبار الفقهاء العباد، مات سنة احدى وثلاثين. تقريب التهذيب (ص١١٧ رقم ٦٠٥).

ويونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة تسع وثلاثين ومائة. تقريب (ص٦١٣ رقم ٧٩٠٩).

(٦) عبد الله بن عون بن ارطبان ، أبو عون البصري، ثقة فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، مات سنة خمسين ومائة. التقريب (ص٣١٧ رقم ٣٥١٩).

فمر بهم عمرو بن عبيد[١] فسلم عليهم ووقف وقفة، فما ردوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه[٢].

٣- وقد نهى الإمام مالك عن السلام على أهل البدع، فقال: ((لا ينكح أهل البدع ولا ينكح إليهم ولا يسلم عليهم))[٣]، وعنه أيضا أنه قال: ((بئس القوم أهل الأهواء لا يسلم عليهم))[٤].

٤- عن الإمام أحمد أنه سأله رجل فقال: جار لنا رافضي يسلم عليّ أرد عليه ؟ قال: لا[٥]، وفي رواية أنه سئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه قال: ((لا إذا سلم عليه لا يرد عليه))[٦].

وهناك آثار غير هذه الآثار، ومنها ما ثبت عن ابن عمر ﷺ أن رجلا قال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام، فقال عبد الله: ((بلغني أنه حدث حدثاً فلا تقرأنّ عليه مني السلام)) [٧]

ولم يكن مراد عبد الله بن عمر ومن معهم من علماء السلف من هجرهم لأهل الأهواء المتمثل في صور كثيرة منها ترك السلام عليهم، مقصوراً على بيان هؤلاء العلماء الربانيين بغضهم لأهل الأهواء، بل كان سلوكهم هذا المسلك متضمنا لثمرات دعوية كثيرة ومنها:

---

(١) عمرو بن عبيد التميمي مولاهم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور كان داعية إلى بدعته اتهمه جماعة مع أنه كان عابدا مات سنة ثلاث وأربعين ومائة أو قبلها. التقريب (ص ٤٢٤ رقم ٥٠٧١)

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في كتابه السنة (ج٢ / ٤٣٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٧٢/١٢)، وابن عدي في الكامل (٩٨/٥ في ترجمة عمرو بن عبيد برقم ٦٦٥٢).

(٣) المدونة (١ /٨٤).

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة (١ /٢٢٩)، والسيوطي في الأمر بالاتباع النبي ﷺ (ص٨٣).

(٥) رواه الخلال في كتابه السنة (١ /٤٩٣ -٤٩٤).

(٦) رواه الخلال في كتابه السنة (١ /٤٩٤).

(٧) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٣٤/٤)، وابن بطة في الإبانة (١٥٤/٢)

١- أن الزجر بالهجر عقوبة شرعية للمهجور، فهي من جنس الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقرباً إلى الله تعالى بواجب الحب فيه سبحانه وتعالى.

٢- بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم.

٣- تحجيم انتشار البدعة.

٤- قمع المبتدع وزجره، ليضعف عن نشر بدعته، فإنه إذا حصلت مقاطعته، والنفر منه بات كالثعلب في جحره(١).

وترك السلام أو رده على أهل البدع لعلماء السلف فيه فقه دعوى، وهو أنهم لم يكونوا على وجه العموم يعاملون به كل مبتدع، فقد كانوا ينظرون إلى حال المبتدع ونوع بدعته، والمصلحة المتحققة، والمفسدة المندفعة من تركهم السلام على أحد من أهل الأهواء أو السلام عليه، فمتى كانت البدعة بدعة في الاعتقاد، وكان صاحبها مجاهراً بها داعياً إليها وجب هجره وترك السلام عليه أو رده عليه، وإن كانت البدعة في غير الاعتقاد وغلب على ظن داعية الحق أن المبتدع يمكن تألفه على الحق، ولا يخشى من انتشار بدعته فالأولى السلام عليه(٢)، ومدار فقه المسألة يتركز على ما يترجح عند دعاة الحق فالداعية الموافق من يبني دعوته القولية والعملية على النظر في المصالح والمفاسد.

---

(١) هجر المبتدع لبكر أبو زيد ص١١.

(٢) انظر فتح الباري (١١/٤٠)، وزاد المعاد (٣/١٨-١٩)، وشرح لمعة الإعتقاد (ص١١٠).

وقد يشكل على مسلك ابن عمر الذي ذكرناه عنه ما رواه نافع قال: كان ابن عمر يسلم على الخشبية[١] والخوارج وهم يقتتلون وقال: من قال: حي على الصلاة أجبته ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله فلا[٢].

ويمكننا الجمع بين ترك ابن عمر السلام على أهل البدع ورده عليهم، وبين هذا الأثر الثابت عنه من كونه سلم على الخوارج والذين قال عنهم النبي ﷺ: « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٣]، وقال أيضا: « إنهم كلاب أهل النار »[٤].

فنقول: يمكن الجمع من خلال أمرين:

١ - إنه سلم عليهم من باب دعوتهم إلى الحق وتذكيرهم بخطر سفك الدماء، وهذا الجمع محتمل لكون ابن عمر من سادات العلماء الذين اهتدى بهديهم الكثير من الناس، ثم إن ابن عمر لم يمر بهم وهم يقتتلون معرضاً نفسه لبغيهم إلا لدعوتهم.

٢- ومما يمكن الجمع من خلاله أن يقال إن ابن عمر كان يترك السلام ورده على من جاهر بالدعوة لبدعته ونابذ أهل السنة، فكان متبوعا وليس تابعاً، وبهذين

---

(١) الخشبية هم أصحاب المختار ابن أبي عمير وهم طائفة من الرافضة سموا بذلك قولهم إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم فقاتلوا بالخشب. انظر منهاج السنة (٣٦/١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٨٦/٢).

(٢) رواه البيهقي في سننه (٥٠٨٨)، وابن سعد في الطبقات (١٥٨/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩١/٣١)، أبو نعيم في الحلية (ج١ /٣٠٩) وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢٢٨/٣): إسناده حسن.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قوله تعالى: {تعرج الملائكة والروح} برقم (٧٤٣٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الإيمان باب في ذكر الخوارج (١٧٦)، والحاكم في المستدرك (١٦٣/٢ رقم ٢٦٥٤)، والطبراني في الكبير (٢٦٨/٨ رقم ٨٠٣٦)، والحميدي في مسنده (٩٠٨)، والأجري في الشريعة (ص ٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٩٠٤) والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الألباني: صحيح.

الجمعين اندفع الإشكال، ولذلك أقول: إن هجر الداعية المبتدع موكول إلى نظر الداعية إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد كما قدمت من قبل.

المبحث الثالث: موقفه الدعوي في معاملة ولاة الأمر

إن مذهب أهل السنة والجماعة هو السبيل الوسطي في القيام لولاة الأمر بحقهم، من البيعة لهم والوفاء بها، والقيام بلوازمها من المناصرة والمناصحة والسمع والطاعة بالمعروف وجمع الكلمة، ومجانبة الفرقة والمنازعة، فهو مذهب وسطي مستقى من هدي الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة، وما أوصوا به.

كان ابن عمر ﷺ أحد أولئك الأعلام الذين بينوا للأمة في كل عصر ذلك المنهج القويم بوصاياهم وأفعالهم، فقد أدرك ابن عمر ﷺ زمانا كثرت فيه الفتن من اقتتال على الملك والتنازع عليه، كما أدرك ﷺ زمانا كانت فيه متغيرات سياسية بعد وفاة معاوية ﷺ، تسارعت بكثير من الناس حينها إلى البحث عن العلماء الربانيين والذين آثر أكثرهم كابن عمر جانب الإرشاد بالقول والعمل على جانب الخوض في فض تلك المنازعات، وسنورد بإذن الله في هذا المبحث ما يكون زاداً لكل داعية في التعرف على مواقف هذا الإمام في معاملة ولاة الأمر:

١- لزوم السلطان والصلاة خلفه وأداء الزكاة إليه:

كما ذكرت فإن ابن عمر ﷺ قد أدرك أزمنة تسارعت فيها الأحداث السياسية بعد وفاة معاوية ﷺ، فقد توفي ابن عمر ﷺ سنة أربع وسبعين، وقيل: خمس وسبعين هجرية، وكان من تلك التغيرات ما حدث بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية، كما أدرك ما كان بين ابن الزبير وبين بني أمية، ومع كل تلك الأحداث فإن هذا الحبر لازم الجماعة، ولازم طاعة

كل أمير تولى أمر الحجاز، ولم ينازعه في شيء، هذا مع تعدد الأمراء، ومنهم من كان أميرا جائرا كالحجاج. ويدل على ذلك: ما رواه سيف المازني[١] قال: كان ابن عمر ﷺ يقول: ((لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب))[٢]

وقال زيد ابن أسلم[٣]: ((إن ابن عمر ﷺ كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله))[٤].

وهنا مسألة مهمة ذات جانبين يحسن بنا أن نلقي الضوء عليها:

الجانب الأول: وهو أن مذهب ابن عمر ﷺ في لزومه كل سلطان تغلب على أمر البلاد التي يقيم فيها ابن عمر هو مذهب جماهير أهل السنة في انعقاد البيعة لكل سلطان تغلب على بلد ما قهراً .

قال الإمام أحمد: ((ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يبيت ولا يراه إماما))[٥].

---

(١) لم يذكر عنه ابن حبان في كتابه الثقات (٣٣٩/٤) سوى قوله سيف المازني يروى عن عمر بن الخطاب روى عنه حميد بن مهران وإيرد ابن حبان له في هذا الكتاب يعني أنه وثقه، وقد ذكره ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل (ج/٢٧٤) ولم يذكر فيه جرح ولا تعديل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٣٩/٤)، وقال شيخ الألباني في كتابة إرواء الغليل (٢ /٣٠٤) إسناده صحيح إلى سيف المازني، وأما هو فأورده ابن ابي حاتم ج٢ /٢٧٤ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) قال ابن حجر في التقريب (ص٣٢٢ رقم ٢١١٧) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله وأبو أسامة، المدني، ثقة عالم وكان يرسل، من الثالثة، مات سنة ست وثلاثين.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١٣٩/٤)، ورجاله كلهم ثقات. وانظر البداية والنهاية (٥/٩).

(٥) الأحكام السلطانية (ص٢٣).

وقال أيضا في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، ((تكون الجمعة مع من غلب))، واحتج بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة زمن الحرة وقال: ((نحن مع من غلب))[١].

وهذا مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى، فأما مالك فإنه حين سئل: البيعة مكروهة ؟ قال: ((لا)) ، قيل له: وإن كانوا أئمة جور؟ فقال: ((قد بايع ابن عمر ﷺ لعبد الملك بن مروان وبالسيف أخذ الملك، وإن ابن عمر كتب إليه، وأمر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه))[٢].

أما الشافعي رحمه الله، فقد روى البيهقي بإسناده عنه أنه قال: ((كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة، ويجمع الناس عليه فهو خليفة))[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فمتى صار قادرا على سياستهم، إما بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله))[٤].

وأما الجانب الثاني فهو ما بينه ابن عمر بقوله وفعله من لزوم السلطان والجماعة، واجتنابه جميع صور مفارقتهما.

أقول: إن بيانه هذا كله مبنياً على ما جاء عن النبي ﷺ من أحاديث في هذا الباب، ومن تلك الأحاديث أحاديث رواها هو عن النبي ﷺ، والتي بمجموعها توضح للمسلمين على وجه العموم، وللدعاة على وجه الخصوص، المنهج الوسطي الذي شرعه الله سبحانه وهدى إليه رسول الله ﷺ، ومن تلك الأحاديث:

---

(١) الأحكام السلطانية (ص٢٣)، وانظر في هذا المعنى قوله مسندا في طبقات ابن سعد: (لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب) ١٤٩/٤ وسنده صحيح إلى سيف المازني .أما هو : فذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، انظر إرواء الغليل (٣٠٤/٢).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١٨٢/٢) وكتابة ابن عمر وبيعته هذه ثابتة في الصحيحين وسيأتي ذلك.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (٤٩٩/١).

(٤) منهاج السنة (١٤٢/١).

١- عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « من كره من أميره شيء فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية»[١].

قال العيني: ((قوله: «من خرج من السلطان» أي من طاعته، قوله: «فليصبر» يعني فليصبر على ذلك المكروه ولا يخرج عن طاعته، لأن في ذلك حقن الدماء وتسكين الفتنة، إلاّ أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام فلا طاعة لمخلوق عليه، وفيه دليل على أن السلطان لا ينعزل بالفسق والظلم، ولا تجوز منازعته في السلطنة بذلك، قوله «شبراً» أي قدر شبر وهو كناية عن خروجه ولو كان بأدنى شيء، «مات ميتة» بكسر الميم كالجلسة لأن باب فعلة بالكسر للحالة وبالفتح للمرة، قوله «جاهلية » أي كموت أهل الجاهلية حيث لم يعرفوا إماماً مطاعاً، وليس المراد أنه يموت كافراً بل إنه يمـــوت عاصياً))[٢]

٢- ما رواه زيـــد بن وهب[٣] قال: ((مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ﷺ فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤] قال معاوية: نزلت في أهـــل الكـــتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان ﷺ يشكوني، فكتب إليّ عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان فقال

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمور تنكرونهـــا برقم (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين برقم (١٨٤٩).
(٢) عمد القاري.(٢٤/ ١٧٨)
(٣) زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، مخضرم، ثقة جليل لم يصب مـــن قـــال فـــي حديثه خلل، مات بعد الثمانين، وقيل سنة ست وتسعين. التقريب (ص ٢٢٥ رقم ٢١٥٩)

لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت))[١].

قال ابن بطال عند شرحه لهـذا الحديث: ((وفيه ترك الخروج على الأئمة والانقياد لهم، وإن كان الصواب في خلافهم))[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك » [٣].

قال النووي: ((قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية))[٤].

وبعد أن بينت هذه المسألة المهمة بجانبيها جانب انعقاد البيعة لكل سلطان غلب وقهر أهل بلد ما، وجانب ملازمة السلطان والحذر من مفارقته، فإنه يتضح رسوخ قدم ابن عمر ﷺ في تطبيقه للمنهج النبوي في هذا الباب، من خلال مواقفه الدعوية القولية والعملية التي ذكرت اثنين منها، فحلي بكل داعية أن يتأسى ويقتدي بهذا العالم الرباني الإمام الثبت في التعامل مع ولاة الأمر الذين في وطنه إتباعا لسنة النبي عليه الصلاة والسلام ولزوما لهدي الصحابة الأعلام ومنهم ابن عمر ﷺ، ولحفظ الداعية قلبه من الأهواء التي تموج بها الساحة الدعوية في بعض البلاد الإسلامية، فقد ظهر في هذا الزمان جمع من المنتسبين للعلم والدعوة إلى الله يطرحون أطروحات وينشرون معتقدات مخالفة للهدي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب من أدى زكاته فليس بكنز برقم (١٤٠٦).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٠٧/٣).
(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب في وجوب طاعة الأمراء في غير معصية برقم (١٨٣٦)
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٤/١٢).

النبوي وهدي الصحابة في كيفية معاملة ولاة الأمر، وليس هذا البحث مجال لبيان الشبهات التي يلقيها أولئك المبطلون ليضلوا بها الفئام الكثير من الدعاة.

٢- معاملة أمراء الجور:

لابد أن نشير إلى حقيقة وهي أن المتأمل للتاريخ الإسلامي يجد أن فيه حقباً أبتلي المسلمون فيها بأمراء الجور ونعني بأمراء الجور أولئك الذين تسلطوا على الناس في أموالهم فانتهبوا حظاً منها وسفكوا دماء العديد من رعاياهم وظلموا في أحكامهم ولا زالت الأمة الإسلامية تبتلى من بعد موت الخليفة معاوية ﷺ حتى تقوم الساعة بهذا النوع من الأمراء.

وقبل أن نورد طرفاً من مواقف ابن عمر الدعوية الدالة على أثر ابن عمر فيمن حوله من الناس ومن بعدهم من حيث كونه قدوة في بيان المنهج الوسطي الحق في كيفية معاملة أولئك الأمراء الظالمين فإنه لابد أن نوضح حقيقة شهد بها التاريخ وهي أن من عاش من الصحابة بعد موت معاوية ﷺ وأدراك ذلك العراك السياسي قد أرشد الخلق الذين في زمانه ومن بعدهم إلى المنهج القويم الوسطي في معاملة الأمراء الظالمين ومن هؤلاء الصحابة الأعلام عبد الله بن عمر ﷺ فقد أذاه الحجاج وحصلت بينهما أمور ومن تلك الأمور أن الحجاج دس لابن عمر من سمّ رمحاً فجرح به قدم ابن عمر فكان ذلك سبب وفاة ابن عمر، وسيأتي بيان ذلك، ومما يدل على عمل ابن عمر ﷺ بالمنهج الوسطي في معاملة أمراء الجور والذي أخذه عن رسول الله آثار منها:

١- عن نافع قال: ((كان ابن عمر ﷺ يصلي مع الحجاج بمكة فلمّا أخر الصلاة تراك أن يشهدها معه وخرج منها))[١].

٢ـ ومما يدل على أخذه ﷺ بركيزة الصبر التي هي من أهم الركائز التي تقوم عليها كيفية معاملة من كان يخشي جوره من الأمراء أو وقع منه ذلك ما جاء أنه لما بويع يزيد قال ابن عمر لما بلغه: إن كان خيراً رضينا، وإن كان بلاءً صبرنا[٢].

٣ـ وقد كان ابن عمر ﷺ يعرض عن مخاصمة الحجاج بن يوسف دفعاً للفتنة مع علم ابن عمر ﷺ أن الحجاج هو الذي دس له من جرحه برمح مسموم، فعن نافع قال: ((أصابت ابن عمر عارضة المحمل بين إصبعيه عند الجمرة، فمرض فدخل عليه الحجاج، فلما رآه ابن عمر، غمض عينيه، فكلمه الحجاج، فلم يكلمه، فغضب وقال: إن هذا يقول: إني على الضرب الأول))[٣].

وكل هذه الآثار المروية عن ابن عمر ﷺ تدل على تطبيقه المنهج النبوي في معاملة من كان جائراً أو كان به جور من الأمراء، إنه ذلك المنهج القويم الوسطي الذي أوضحته الأحاديث الكثيرة الثابتة عن النبي ﷺ، إنه ذلك المنهج الذي يقوم على الصبر على ظلم أولئك الأمراء والصبر على الأثرة والأنية في الأنفس مع أداء الحق الذي في عنق كل من أبتلي إلى أميره الذي تسلط عليه، ومن ثم التوجه إلى الله

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٣٩/٤)، وروى ابن أبي شيبة في المصنف (١٥٢/٢) عن عمير بن هانئ قال: شهدت ابن عمر والحجاج محاصر ابن الزبير فكان منزل ابن عمر بينهما فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء وربما حضر الصلاة مع هؤلاء " وصححه الألباني كما في الإرواء (٣٠٣/٢)

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٧٠/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩٠/٦)، وخليفة بن خياط في تاريخه (ص ٥٣)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (ص٤٠٥) ورجال إسناده ثقات.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١٧٤/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٥/٣١)، وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢٢٩/٣): وإسناده صحيح.

سبحانه في طلب الحق الذي منعه ذلك الأمير، ولا يتسع مثل هذا البحث لذكر العديد من تلك الأحاديث لكني أذكر بعضاً منها:

١- عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: « إنكم سترون بعدي أثرةً وأمورًا تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم» (١).

٢- قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله إنّا كنا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: نعم قلت: هل وراء ذلك الشرّ خيرٌ؟ قال: نعم قلت: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ قال نعم قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمّةٌ لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشّياطين في جثمان إنسٍ» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع »(٢).

ولقد جمع ابن عمر ﷺ بين الصبر على أمراء الجور وبين مناصحته لهم، فكان جامعا للكلمة ومؤلفا بين القلوب، وناصحا للأمراء مبتغياً بذلك وجه الله سبحانه، فقد ناصح الحجاج حينما زاره الحجاج في بيته، فقد روى البخاري أن الحجاج زار ابن عمر حين أصابه زج رمح فقال الحجاج لابن عمر: ((من أصابك قال: أصابني من أمر بحمل السّلاح في يوم لا يحلّ فيه حمله -يعني الحجّاج-))(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها برقم (٧٠٥٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم (١٨٤٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب العيدين باب مايكره من حمل السلاح في العيد والحرم رقم (٩٦٦).

وهكذا ينبغي لكل داعية أن يجمع بين النصح لولاة الأمر إذا استطاع لذلك سبيلا، وبين جمع الكلمة ولو رأى من أميره ما يكره.

وكم تدفع فتن وتحصل مصالح عامة، ومنها مصالح نافعة للدعوة، وأما من نابذ السلاطين من الدعاة فقد عصى رسول الله عليه الصلاة والسلام وعرض نفسه لبطش الأمراء، وأضر بدعوته وربما بمن تبعه من المدعوين، ولعل أحدا من الدعاة يتفرغ لكتابة بحث نافع في بيان المصالح المتحققة وما يندفع من المفاسد في مجال الدعوة إذا لزم الدعاة المنهج النبوي في معاملة من كان جائرا من الأمراء.

٣- عنايته بشعيرة البيعة للأمراء:

البيعة لأئمة المسلمين شعيرة من شعائر الدين، جعلها الله في أعناق عامة المسلمين لأئمتهم، وهي من العبادات الواجبة يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[١].

كان ابن عمر ﷺ ممن حققوا القيام بهذا الواجب وفق سنة النبي ﷺ فما اجتمع الناس على خليفة أو أمير إلا كان ابن عمر ﷺ من المبادرين في مبايعة من اجتمع عليه الناس.

ويدل على ذلك أنه لمّا بايع الناس عبد الملك بن مروان كتب إليه عبد الله بن عمر: ((إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إني أقرّ بالسّمع والطّاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنّة الله وسنّة رسوله فيما استطعت وإنّ بنيّ قد أقرّوا بذلك))[٢].

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن برقم (١٨٥١).
(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس برقم (٧٢٠٥).

فجدير بكل من اشتغل بالدعوة إلى الله أن يكون متأسيا بابن عمر ﷺ في حرصه على جمع الكلمة، ومبادرته في إنجاح كل عمل يزداد به أهل بلاده وحدة، ويسلمون به من الفتنة والفرقة، فالداعية قدوة متبوع يأخذ الناس عنه أمور دينهم كلها، ويرون في أحواله وأفعاله وأقواله تطبيقا للشريعة، كما أنه ينبغي للداعية أن يتجرد من حظ نفسه وهواه فلا يسعى في إيقاظ فتنة أو إثارة فرقة، وعليه أن يزن الأمور بميزان الشرع، وبذلك ينجو ويفلح ويحصل له التمكين في دعوته إليه سبحانه.

٤- إخلاصه لله في مبايعة الأمراء:

كما أوضحت من قبل فإن البيعة لأئمة المسلمين عبادة من العبادات التي أمر بها الرسول ﷺ، ومعلوم أن لكل عبادة شرطين هما: الإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ.

فأما المتابعة في البيعة فتحصل في امتثال أمره عليه الصلاة والسلام في أن لا يموت المسلم إلا وفي عنقه بيعة، وقد ذكرنا الحديث الصحيح الصريح الذي نص على ذلك.

وأما الإخلاص لله في البيعة لولاة الأمور فقد أوجب النبي ﷺ على المسلمين أن يخلصوا لله فيما يؤدونه من البيعة لولاة أمرهم، وذلك بأن يكون مقصدهم طلب أجر الآخرة وليس الطمع في الدنيا.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ... ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف »[1].

ولقد كان ابن عمر ﷺ يحرص كل الحرص على أن تكون مبايعته لخلفاء المسلمين خالصة لله، ليس فيها شيء من طلب الدنيا، بل كان يحرص ﷺ على أن لا يظن به الخلفاء أن مبايعته لهم لغرض من الدنيا، فعن نافع عن ابن عمر قال: ((لولا أن معاوية بالشام، لسرّني أن آتي بيت المقدس، فأهل منه بعمرة، ولكن أكره أن آتي الشام، فلا آتيه، فيجد علي، أو آتيه، فيراني تعرضت لما في يديه))[2].

ولا ريب أن قول ابن عمر ﷺ هذا يمثل صفاء الأخوة بينه وبين معاوية ﷺ والصحابة أجمعين، فإنه كلما كان المسلم أبعد عن التشوف للدنيا من جهة إخوانه مع صدق مودته لهم، كلما كانت الأخوة أوثق وأمكن في النفوس، ثم إن موقفه هذا وحرصه على أن لا يظن به معاوية ﷺ رغبته في شيء مما عنده، يدل على حرص ابن عمر على نصحه في البيعة لمعاوية وإخلاصه لله في ذلك، ولقد رسم ابن عمر ﷺ منهجا وسطيا للدعاة في إصلاح النية في تعاملهم مع ولاة الأمر، فتأمل حياة ابن عمر ترى فيها مجافاة للدنيا، ونصحا للعامة ونصحا لولاة الأمر، وإخلاصا لله في العهود والمواثيق التي أعطاها من ولاه الله أمره، فالداعية الموفق من لم يجعل جاه الدنيا وطلب المناصب فيها ونيل الرئاسات مقصداً، يعطي به ومن أجله صفقة يده وثمرة قلبه من ولاه الله أمره .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا برقم (٧٢١٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله برقم (١٠٨) واللفظ له.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٥) ورجال الإسناد ثقات.

٥- الوفاء بالبيعة:

إن مبايعة المسلم لإمامه تعني إعطاء المسلم إمامه ميثاقا وعهدا بالسمع، والطاعة له بالمعروف ومناصرته ومناصحته، فالبيعة ميثاق وعهد يجب الوفاء به، ولا يجوز نكثه.

وقد حثت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق التي يلتزم بها المسلم لربه أو للمسلمين أو لغير المسلمين قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٤]

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ يقول: ((وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضاً والبيوع والإيجارات وغير ذلك من العقود، ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ يقول: إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك، وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوباً يقال في الكلام: ليسئلن فلان عهد فلان))(١).

وأما من السنة فما رواه أبو سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة»(٢)

وقد بين الإمام ابن رجب أن الوفاء بالعهد واجب، وأنه يحرم نقضه أو الغدر فيه، ثم قسم رحمه الله العهود التي يجب على المسلم الوفاء بها إلى أربعة أقسام:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٩/ ٨٤).
(٢) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر حديث رقم (١٧٣٧).

١- العهود التي يوجبها العبد على نفسه لله تعالى كنذر التبرر ونحوه.

٢- عموم العهود التي تكون بين المسلمين.

٣- العهد الذي يكون للإمام.

٤- العهود التي بين المسلمين والمشركين، والتي يلتزم المشركون بها، ولم يحصل منهم نقض لها[1]

وقد جاءت أحاديث عنه ﷺ في وجوب الوفاء بالبيعة للإمام، والتحذير من نكثها وبيان عقوبة من ينكث بيعته للإمام، وعقوبة ذلك في الآخرة، وقد ذكرنا عددا من تلك الأحاديث، لكنني أذكر هنا حديثا عمل به ابن عمر ﷺ ودعا إلى العمل به، مما يدل على حرص هذا الحبر على إرشاد من كان في زمانه من الناس، ومن بعدهم على التمسك بالمنهج النبوي الذي أمر بلزوم السلطان والوفاء له بالبيعة والحذر من نكثها، وقد بدأ ابن عمر ﷺ في الدعوة إلى لزوم السلطان والحذر من نقض البيعة بحشمه وولده.

فعن نافع قال: ((لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: « ينصب لكلّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة » وإنّا قد بايعنا هذا الرّجل على بيع الله ورسوله، وإنّي لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله، ثمّ ينصب له القتال، وإنّي لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه))[2]

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢ /٢٤٧-٢٤٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب إذا قال عند قوم شئ ثم خرج فقال بخلافه برقم (٧١١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٥).

وقد بذل ابن عمر ﷺ كل ما في وسعه في منع الناس من الوقوع في معصية خلع يزيد بن معاوية ونقضهم البيعة له، وابتدأ ﷺ بمناصحة عبد الله بن مطيع ﷺ[١].

فعن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدًا من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة»[٢].

ثم إنه ﷺ انتقل بدعوته لهذه الركيزة العظيمة إلى كل من سعوا في دعوة الناس في المدينة إلى أن ينقضوا بيعتهم للخليفة يزيد بن معاوية، ولم يقتصر نصحه في تلك الفتنة على مناصحة عبد الله بن مطيع، وقد نصح ﷺ لعدد من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، كما نصح لمن تبعهم[٣].

وهكذا ينبغي لكل داعية أن يكون إماماً في جمع الكلمة، ودفع الفتن، قدوةً في لزوم سبيل الوسطية في معاملة من كان من الحكام جائراً، أو يتوقع منه الجور، خاصة ونحن في آخر الزمان الذي كثرت فيه الفتن وتشعبت الأهواء بـأهلها، وانتشر العراك السياسي في كثير من البلاد الإسلامية، وينبغي للداعية أن لا يقصر جهده في هذا المجال في خطب ودروس ومحاضرات، بل لابد من

---

(١) عبد الله بن مطيع بن الأسود القرشي العدويّ ولد على عهد النبي فحنكه النبي ﷺ. ولما خرج أهل المدينة على بني أمية أيام يزيد بن معاوية من المدينة وخلعوا يزيد كان عبد الله بن مطيع على قريش ثم لحق بعبد الله بن لزبير في مكة وقتل معه. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣ /٨٠) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهـور الفتن برقم (١٨٥١).

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨ /١٦٢-٢١٦).

تجواله بين الذين يرى أنهم دعاة لنشوب فتنة الفرقة والاختلاف والعراك السياسي مفيداً من أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٦- مناصحة أمراء الجور:

هذه مسألة ذات أهمية بالغة يجب أن نتدارسها مهتدين بهديه عليه الصلاة والسلام، ويمكننا بيان ذلك من خلال بيان أمور وهي:

١- لقد أوضح رسول الله عليه الصلاة والسلام المنهج الوسطي الذي رضيه لأمته في معاملة الأمراء، وقد أوردت طرفاً من أحاديثه في بيانه لهذا المنهج، والذي يوجب على المسلم أن يكون في عنقه بيعة لمن ولاه الله أمره، وأن يفي بهذه البيعة، ويأتي بلوازمها ومقتضياتها من الوفاء بها، والمناصرة لمن واثقه بها من الأمراء مع كمال النصح، وغير ذلك من بقية لوازمها.

٢- وقد شرع رسول الله عليه الصلاة والسلام مبدأ المناصحة لولاة الأمر، وجعل ذلك من مجالات النصيحة والتي هي دين الإسلام، وذلك في قوله ﷺ: « الدين النصيحة قلنا: لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » [١]

بل جعل عليه الصلاة والسلام مناصحة ولاة الأمر من أهم أسباب سلامة القلوب، وذلك في قوله ﷺ: « ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥) من حديث تميم الداري.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث زيد بن ثابت رقم الحديث (٢١٥٩٠ ج٣٥ / ٤٦٧)، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب من بلغ علما (٢٣٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧)، والطبراني في الكبير (١٤٣/٥ رقم ٤٨٩٠)، وصححه الشيخ الألباني كما في كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة (ص ٥٠٤)، وقال شعيب الأرنووط في تحقيق المسند (ج٣٥ /٤٦٧-٤٦٨): صحيح.

٣- كما أشرت فإنه عليه الصلاة والسلام قد أخبر كما ذكرنا من قبل أنه ستبلى الأمة بأمراء ظلمة يمنعون الناس حقوقهم، ويجورون في أحكامهم، ويسفكون الدماء، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالصبر عليهم، وإعطائهم حقهم من السمع والطاعة بالمعروف، والوفاء لهم بما بويعوا عليه من النصرة لهم بالحق وملازمتهم، واجتناب منابذتهم.

٤- وهذا النوع من الأمراء الذين يسلكون مسلك الجور والظلم هم أولى الأمراء بالمناصحة، فإذا كان الأمير العادل تشرع مناصحته بما ينفع رعيته، فإن من جار من الأمراء أحرى بالمناصحة لما في ذلك من المساهمة في نجاته من عاقبة الظلم في الدنيا والآخرة من خلال تذكيره بالله لينتهي عن الظلم، ويكشف الظلم عن رعيته.

٥- وهذه المناصحة يجب أن تكون سراً وليست علانية، وقد أرشد عليه الصلاة والسلام لهذا وذلك بقوله: « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه »[1].

ولا ريب أن مقصده عليه الصلاة والسلام من إيجابه أن تكون المناصحة سراً لما في الإسرار بها من المصالح ودرء المفاسد، ومن أهم تلك المصالح تقبل الأمير المنصوح نصيحة من نصحه، ومن أهم ما يندفع من المفاسد بكونها سراً اتقاء إشعال الفتن بإثارة العامة على من أراد الناصح مناصحته من الأمراء سواء كان الأمير عادلا أو جائرا، ويدل على هذا كله: أنه لما وقعت الفتنة في عهد عثمان ﷺ قيل لأسامة بن زيد ﷺ: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون

---

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث عياض بن غنم برقم (١٥٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (٣/٣٢٩ رقم ٥٢٦٩)، والبيهقي في سننه (١٦٤٣٧)، ولابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٠٧) حديث رقم ١٠٩٦، وصححه الحاكم ووافقه الألباني في كتابه ظلال الجنة في تخريج السنة حديث (ج٢ /٥٠٧). وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه المسند برقم (١٥٣٦٩).

أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته في ما بيني وبينه بما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه[١].

فإن المنصوح في هذا الأثر عثمان الخليفة الراشد وهو من أئمة العدل، والناصح أسامة الصحابي الجليل.

وقد كان هذا هو مسلك الصحابة جميعاً، ومنهم ابن عمر رضي الله عنهم جميعا، لكن يشكل على هذا أثر صحيح مروي عن ابن عمر في خبر له مع الحجاج بن يوسف إذ ناصح ابن عمر علانية الحجاج بن يوسف، وشدد عليه ابن عمر في الإنكار عليه، فقد جاء أن الحجاج خطب على المنبر فقال: إن ابن الزبير حرف كتاب الله فقال له ابن عمر ﷺ: كذبت كذبت كذبت، ما يستطيع ذلك ولا أنت معه، فقال له الحجاج: اسكت فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك يوشك شيخ أن يؤخذ فتضرب عنقه فيجر قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان أهل البقيع[٢]

ويمكن الإجابة على هذا الإشكال من وجوه:

١- شناعة ما قاله الحجاج، فقد قال كلمة كفر مع كوننا لا نكفره بها، فإن من عقيدة أهل السنة أن المسلم لا يكفر بمجرد وقوعه في الكفر أو قوله لكلمة الكفر، لكن شناعة هذه الكلمة هي التي جعلت ابن عمر ينكر على الحجاج علانية، وقد قالها الحجاج كما تلاحظ في خطبة اجتمع فيها الناس، فكان من الواجب على مثل

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة برقم (٣٢٦٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقاق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعلــه ... برقم (٢٩٨٩) واللفظ له.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٧٢/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٤/٣١-١٩٥)، قال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢٣٠/٣): إسناده صحيح.

ابن عمر ﷺ في الإمامة في الدين والعلم أن ينكر على الحجاج تلك الكلمة الشنيعة.

٢- وابن عمر ﷺ صحابي عظيم القدر والمكانة، رفيع الجاه، عليم بما يثير الفتنة من ما لا يثيرها، فجاز له ما لا يجوز لغيره من الإنكار.

٣- والذي يظهر لي أن ابن عمر ﷺ لم ينكر في المسجد أثناء ما كان الحجاج يخطب، فلم يكن ابن عمر حاضرا للخطبة، فلم ينكر في ملأ من الناس، ويدل على هذا رواية أخرى للأثر جاء فيها: أن ابن عمر علم أن الحجاج قال في خطبة له.[١].

٤- وإذا علم العالم والداعية أنه لا يثير فتنة عامة بإنكاره على السلطان فيما بينه وبينه، وقد احتسب أجر ما سيلقى ممن أنكر عليه من قتل أو ضرب أو سجن، فيشرع له أن ينكر وهو مثاب على ذلك، ويدل على المشروعية قوله عليه الصلاة والسلام: « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[٢].

وبهذا الجمع بين النصوص الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام في كيفية مناصحة أمراء المسلمين عموما، ومناصحة من جار منهم، وبهذا الجمع بين مواقف ابن عمر ﷺ الدعوية في هذا الباب يندفع الإشكال، فيظهر موقف ابن عمر جلياً في هذا الباب، ليستنبط منه الداعية الموفق المهتدي بهدي الصحابة بصيرته بطريق الحق في هذا المجال الذي أخطأ جمع من الدعاة في فقههم له وبصيرتهم به، باعتقادهم ما يخالف هدي علماء السلف فيه، ولم يقعوا في ذلك إلا

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٠) ورجال الإسناد ثقات.
(٢) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث رقم (٤٠١١)، والترمذي في سننه كتاب الفتن باب أفضل الجهاد حديث رقم (٢١٧٤)، وهذا حديث حسن غريب، ورواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهي حديث رقم (٤٣٤٤) من حديث أبي سعيد والحديث صححه الألباني في سنن أبي داود (٤٣٤٤).

من جهلهم بالحديث، وبالآثار الصحيحة الثابتة، وتركهم محاولة الجمع بين ما قد يظهر منه التعارض من تلك الأحاديث والآثار.

المبحث الرابع: موقفه الدعوي من الفتن

تمهيد:

وبعد أن أوضحت طرفاً من موقفه الدعوي من الأهواء، وموقفه الدعوي في معاملة ولاة الأمر، فإنه يحسن بنا أن نتأمل موقفه الدعوي من الفتن. وقبل أن نشرع في بيان ذلك، فإنه لابد من الإشارة إلى ثلاث مسائل:

أ- المقصود بالفتنة:-

١- إن مدار ((معنى الفتنة في اللغة: يشمل معاني كثيرة، ومن أبرزها الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد... والفتنة الإحراق... والفتنة اختلاف الناس بالآراء... والفتنة إعجابك بالشيء فتنه يفتنه فتنا وفتونا فهو فاتن وأفتنه... الفتنة الضلال والإثم والفاتن المضل عن الحق، والفاتن الشيطان لأنه يضل العباد صفة غالبة... والفتنة في كلامهم معناه المميلة عن الحق... وقيل: الفتنة الإضلال... والفتنة الجنون وكذلك الفتون... والفتنة العذاب... والفتنة القتل))[١].

٢-وكما يلاحظ فإن معنى الفتنة في اللغة يرتكز على معاني يقوم عليها المعنى الشمولي للفتنة الذي أراده الشارع الحنيف، فإن الشارع الحنيف حينما أخبر عن الفتن من حيث خطرها وأنواعها والتحذير منها، شمل ذلك كله المعاني اللغوية للفتنة، والتي أشرت إليها حيث إن الحكمة من ابتلاءه سبحانه لعباده المسلمين بالفتن على اختلاف أنواعها هو اختبارهم وتمحيصهم، كما أننا إذا نظرنا في حقيقة الفتنة وأسباب حصولها وعاقبة الخوض فيها، نجد أن من أهم أسباب

(١) انظر لسان العرب (١٣/٣١٧ - ٣٢٠).

الوقوع في الفتنة وافتتان المسلم بما يحيد به عن طريق السلامة، إعجابه بما يظهر من زخرف الفتنة وبريقها، فيميل به ذلك الإعجاب حتى يقع في المنازعة والاختلاف، فيضل ويضل، وربما قاتل وقتل على ذلك، فتعذب بذلك واحترق بنار الفتنة في الدنيا هو ومن أشعلها وسعى بها، ولابد من التنبيه إلى أن مدار حديثنا في هذا المبحث في فقهنا لموقف ابن عمر الدعوي من الفتن، يتعلق بضرب من أبرز ضروب الفتن وهو فتنة الاقتتال على الملك والتنازع الذي ظهر بعد موت معاوية ﷺ، وهذا الضرب من الفتن هو ما جاءت أكثر الأحاديث في الفتن بالإخبار عن وقوعه والتحذير من الخوض فيه، وكان لابن عمر وبقية الصحابة هدي في التعامل معه.

ب- تحذير الشارع من الفتن:

لقد حذر سبحانه في كتابه الكريم من الفتن كما حذر رسوله عليه الصلاة والسلام من الفتن، فأما من الكتاب الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]

قال ابن كثير: ((يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختبارا ومحنة يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها لم تدفع وترفع))(١).

وأما من السنة: فقد جاءت أحاديث ثابتة عنه ﷺ أوضحت أنه ستقع فتن كثيرة، وحذر عليه الصلاة والسلام في تلك الأحاديث من الدخول فيها، وسنقتصر في هذه التقدمة على ذكر حديثين منها، وسيأتي ذكر عدد منها في ثنايا هذا المبحث.

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن كثير (٢ /٢٩٩) .

فمن تلك الأحاديث:

١- قال رسول الله ﷺ: « إنّ بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السّاعي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم »(١).

٢- عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: « بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرّجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا » (٢).

كان ابن عمر ﷺ من الذين سلموا من الفتن، مع أنه عاش ﷺ -كما أوضحنا من قبل- في أزمنة اشتعلت فيها نيران الفتن، وتقاتل فيها أهل الإيمان، ولم يؤثر ﷺ نجاة نفسه فاكتفى بالعزلة، بل بذل كل ما في وسعه في حث المسلمين على لزوم الجماعة وولاتهم، وكف اليد وحقن الدماء واجتناب الفرقة والاختلاف.

إن لهذا الجانب من جوانب حياة هذا الحبر جلاءه في مسيرته الدعوية والعلمية والعملية، فقد كان ﷺ إماماً في الثبات على الصراط المستقيم والذي من سلكه لم تستمله فتنة ولم يستهوه بريقها، ولذلك فإنه يطالعك حينما تقرأ سيرته ﷺ مجانبته كل سبيل تورده باباً من الفتن، فقد وقّى نفسه منها، وحذر منها من لازمه

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن السعي في الفتنة برقم (٤٢٦٢)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب التثبت في الفتنة برقم (٣٩٦١)، وأحمد في مسنده (١٩٦٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤٨٧/٤ رقم ٨٣٦٠)، والآجري في الشريعة (ص ٥٠)، من حديث أبي موسى الأشعري والحديث صححه الحاكم وسكت عليه الذهبي وقال الألباني: صحيح كما في صحيح سنن أبي داود (ج٣ /١٢). وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الحثّ على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن برقم ١١٨ .

من تلاميذه وآله، كما أرشد عموم المسلمين في زمانه ومن جاء بعدهم إلى وجوب اجتناب الفتن وكيفية الوقاية منها، وهكذا شأن الداعية الرباني يفني عمره في إرشاد الخلق إلى الهدى ويدعوهم إلى لزوم الحق ويحذرهم سبل الضلالة، فالداعية الرباني غيث نافع أينما نزل نفع ونبت به الكلأ.

وإليك طرفا من مواقفه الدعوية من الفتن وحثه على اجتناب الفتن:ـ

١ - موقفه الدعوي من العزلة:

إن مسلك العزلة عند ظهور الفتن مسلك له ما يدل على مشروعيته من السنة النبوية، وقد ذكرت حديثين في التقدمة لهذا المبحث، ومن تلك الأحاديث غير ما تقدم:

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها استشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به»[١].

قال ابن حجر:((قوله «فليعذ به» أي ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة، وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها))[٢].

قال النووي: ((وقوله ﷺ: «ومن وجد منها ملجأ» أي: عاصماً وموضعاً يلتجيء إليه ويعتزل، «فليعذ به» أي: فليعتزل فيه، وأما قوله ﷺ: « القاعد فيها خير من القائم» إلى آخره، فمعناه بيان عظيم خطرها والحث على تجنبها،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦٠٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم حديث رقم (٢٨٨٦).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٣١/١٣) .

والهرب منها، ومن التشبث في شيء، وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها)) [١].

٢- عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن» [٢].

قال العيني: ((فيه فضل العزلة في أيام الفتن... وقال: فيه الاحتراز عن الفتن وقد خرجت جماعة من السلف عن أوطانهم وتغربوا خوفاً من الفتنة)) [٣].

وقد عمل جمع غفير من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً بمسلك اعتزال الخوض في ما جرى في زمانهم من الفتن، ومنهم من تعرب واتخذ البادية مسكناً فراراً من الفتنة كسعد ابن أبي وقاص، فقد روى مسلم في صحيحه فقال: كان سعد بن أبي وقّاص في إبله، فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعدٌ قال: أعوذ بالله من شرّ هذا الرّاكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم، فضرب سعدٌ في صدره فقال: أسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفيّ»[٤].

كما تعرب سلمة بن الأكوع، فقد روى البخاري في صحيحه ((أنه لمّا قتل عثمان بن عفّان خرج سلمة بن الأكوع إلى الرّبذة، وتزوّج هناك امرأةً، وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليالٍ نزل المدينة))[٥].

وما تعرب هذا الفريق من الصحابة رضي الله عنهم إلا هرباً من الفتن، ولقد كان ابن عمر ﷺ جامعاً بين اجتناب الفتن باعتزالها، وبين قيامه بما هو

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/١٨).
(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب التعرب من الفتنة، حديث رقم (٧٠٨٨).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج١ /١٦٣.
(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب برقم (٢٩٦٥).
(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب التعريب في الفتن رقم (٧٠٨٧) من حديث يزيد بن أبي عبيد.

حقيق به من دعوة الناس وهم يخوضون غمار الفتن إلى ما ينجيهم منها، وذلك بدعوته لهم بأن يكون لكل واحد منهم حظ من العزلة ينجو به من وهج الفتنة، فتأمل معي قوله ﷺ: ((خذوا بحظكم من العزلة))[١]، وبهذا يظهر لنا أن الهدي الوسطي في الفتن والذي ينبغي أن يسلكه الداعية هو ما سلكه ابن عمر ﷺ، وهو **الجمع بين القيام بواجب دعوة من يخوضون غمار الفتنة إلى إطفاء سعيرها، وكف الأيدي والألسنة، وبين اجتناب كل سبب يدعو إلى الوقوع في الفتنة، والأخذ بكل سبباً يعين على اجتناب الخوض في الفتنة، وجماع ذلك كله في اعتزال الفتن.**

٢- بصيرته بضروب الفتنة وحذره وتحذيره من ذلك :

لقد أرشد ﷺ الناس في زمانه ومن بعدهم إلى التبصر بحقيقة ضروب الفتنة وصورها، وأعظم ذلك سفك دماء المسلمين ومفارقة جماعتهم وشق عصاهم.

فقد كان يقول: ((لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب))[٢].

وقد أتى رجل ابن عمر فقال: ما أحد شر لأمة محمد منك فقال: ((لم، فوالله ما سفكت دماءهم ولا فرقت جماعتهم ولا شققت عصاهم؟)) قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان قال: ((ما أحب أنها أتتني ورجل يقول: لا وآخر يقول: بلى))[٣].

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦١/٤)، ورجاله ثقات.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٣٩/٤)، وقال الشيخ الألباني في كتابة إرواء الغليل (ج٢ /٣٠٤): إسناده صحيح إلى سيف المازني، وأما هو فأورده ابن ابي حاتم (ج٢ /٢٧٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في الثقات (٣٣٩/٤)
(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٧/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥١).

إن هذا الأثر المروي عن هذا الحبر المسدد يدل على عظيم فقه في الدعوة إلى الله، ورسوخ قدميه في سبيلها، في حين من الدهر كانت الفتن تغلي مراجلها، فقد جاء هذا المستفصل لحقيقة الأمر الذي جنح بابن عمر إلى اجتناب الفتن، وقلب هذا المستفصل مونقاً بحب اجتماع كلمة المسلمين وحب ابن عمر ومعرفة قدره في الأمة، فدفعه ذلك إلى الخطأ في التعبير والعنف في السؤال والإغلاظ لصحابي جليل وعالم قدوة وإمام جهبذ، فلم يواجهه ابن عمر بمثل ما خاطبه به بل ترفق به وأرشده إلى ما يتقيه من أصول الشر وضروب الفتنة، فقد صرفه عما كان يراه الرجل فتنة من اعتزال ابن عمر لما خاض فيه الناس إلى التبصر بسبل الهلاك والفتن من سفك الدماء ومفارقة جماعة المسلمين وشق عصاهم، فأما حذره وتحذيره من سفك الدماء فسيأتي الحديث عنه، وأما مفارقة الجماعة فجرم عظيم كان ابن عمر يحذر من الوقوع فيه، وقد جاءت الأحاديث عنه ﷺ بوجوب لزوم الجماعة والتحذير من مفارقتها:

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: « من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة، ومن قاتل تحت رايةٍ عميّةٍ يغضب لعصبةٍ أو يدعو إلى عصبةٍ أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهليّةٌ، ومن خرج على أمّتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهده فليس منّي ولست منه»[1].

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم».

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال رقم (١٨٤٨).

قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قومٌ يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» [١]

وأما شق عصا الطاعة والذي حذر منه ابن عمر ﷺ في الأثر السابق، فهو من مفارقة الجماعة والسعي في تفريقها وهو سبب في إباحة أن يسفك إمام المسلمين دم فاعله قال ﷺ: « من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ يريد أن يشقّ عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه»[٢].

قال ابن عبد البر: ((أجمع العلماء على أن من شق العصا وفارق الجماعة وشهّر على
المسلمين السلاح، وأخاف السبيل، وأفسد بالقتل والسلب، فقتلهم وإراقة دمائهم واجب، لأن هذا من الفساد العظيم في الأرض، والفساد في الأرض موجب لإراقة الدماء))[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الاسلام برقم (٣٦٠٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال برقم (١٨٤٧).
(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن: باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢) من حديث عرفجة بن شريح.
(٣) التمهيد لابن عبد البر (٢٣/ ٣٣٩)

٣- أناته ورويته وثباته في الفتن:

لقد أشرت من قبل إلى عناية ابن عمر ﷺ بواجب الوفاء بالبيعة لمن بايعه، وهذا الثبات منه سبب من أسباب سلامته من الفتن، فمن بايع إماما على كتاب الله وسنة رسوله وصدق فيما واثقه عليه لم تستزله راية يرفعها صاحب فتنة، ولا ريب أن من أسباب سلامة ابن عمر ﷺ من الوقوع في الفتن، بصيرته التي ميّز بها بين الحق والباطل وبين الفتن وبين سبيل الرشاد، وعرف بها دعاة الفتنة فأعرض عن دعواهم، ولم يمل قلبه إليهم، ولم يمدد يداً في مناصرتهم، قال ﷺ:

((إنما كان مثلنا في هذه الفتنة، كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضنا يمينا وبعضنا شمالا، فأخطأنا الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى تجلى عنا ذلك حتى أبصرنا الطريق الأول فعرفناه فأخذنا فيه))(١).

ويشهد لما دل عليه هذا الأثر الصحيح أثر مروي عنه رضي الله عنه فيه ضعف قال: ((لقد بايعت رسول الله ﷺ فما نكثت ولا بدلت إلى يومي هذا، ولا بايعت صاحب فتنة ولا أيقظت مؤمنا)) (٢).

فالداعية إلى الله إذا أراد سبيل النجاة، فعليه أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، ويزن ما يقع في زمانه بميزان السنة، ليتبصر بحقيقة ما يجري في زمانه، كما عليه أن يزن أقوال الناس وأفعالهم بميزان السنة، وكل ذلك يثمر تثبيته على طريق علماء سلف الأمة، ويقيه الاغترار بدعاة الفتنة.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٨٦)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٧١-١٧٢)، وأبو نعيم في الحلية ج١ /٣٠٩-٣١٠) ورجاله كلهم ثقات إلا قبيصة بن عقبة فهو صدوق قاله الحافظ في التقريب (ص ٤٥٣ ترجمة ٥٥١٣) وقال بشار عواد في تحقيقه سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٧): إسناده صحيح.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٩٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٤) ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع بين الأوزاعي وابن عمر.

قال صالح آل الشيخ:[١]
((إن الرايات التي ترفع في الفتنة -سواء رايات الدول أو رايات الدعاة- لابد للمسلم أن يزنها بالميزان الشرعي الصحيح، ميزان أهل السنة والجماعة، الذي من وزن به، فإن وزنه سيكون قسطاً غير مجحف في ميزانه، كما قال جل وعلا في ميزانه ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾[الأنبياء: ٤٧]، فكذلك أهل السنة والجماعة لهم موازين قسط يزنون بها الأمور، ويزنون بها الأفكار. ويزنون بها الأحوال، ويزنون بها الرايات المختلفة عند اختلاف الأحوال، وتلك الموازين

تنقسم عندهم -كما بيّن ذلك أئمة دعوتنا، وكما بيّن ذلك أئمة أهل السنة والجماعة-

تنقسم تلك الموازين إلى قسمين -فاسمعهما-:

القسم الأول: موازين يوزن بها الإسلام من عدمه، يعني: يوزن بها صحة دعوى الإسلام من عدمه صحة تلك الدعوى.

القسم الثاني: موازين نعرف بها كمال الإسلام من عدمه، والاستقامة الحقة على الإسلام من عدم الاستقامة...)) [٢]

٤- خوفه من الله ووقايته له من الفتن:

حينما تنشأ الفتن ويظهر الصراع على الملك في بلد ما، نلحظ أمرين:

أولهما: أن كلاً من الأطراف المختلفة وربما المتقاتلة يرفع كل واحد منهم راية يجمع تحتها وحولها أعواناً وأنصاراً بدعوته، ويسوقهم إليه بالوعود البراقة

---

(١) صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ أحد علماء الدعوة السلفية المعاصرين له مؤلفات كثيرة.

(٢) الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن صالح آل الشيخ (ص٢٨- ٢٩).

بتمكينهم وإغنائهم ونحو ذلك، ويسوقهم تارة بالإدعاء أن الحق المبين معه وأنه يجاهد فيه وله.

وثانيهما: أن المختلفين والمتصارعين ينال كل واحد منهم من عرض أخيه، وربما نال من دمه وماله متأولاً لنصوص من الكتاب والسنة، يزعم أنها أصل لما يدعيه من الحق الذي يقاتل عليه، وما يأتيه من الإضرار بأخيه المسلم، وهذا التأويل كان الباعث على إقدامه على ما يقع فيه من فتنة التنازع والتناحر وربما سفك الدماء.

قال ابن القيم: ((فأصل خراب الدّين والدّنيا إنّما هو من التّأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنّه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلّا بالتّأويل، وهل وقعت في الأمّة فتنةٌ كبيرةٌ أو صغيره إلّا بالتّأويل، فمن بابه دخل إليها، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلّا بالتّأويل))(١). وهذا التناحر والتقاتل والتأول فيه، أصل فتنة التنازع على الملك.

قال ابن حجر في تعريفه لهذا النوع من الفتن:((ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل ويشتبه الحق فلا يعلم مع أي فريق هو))(٢).

وطريق النجاة من الخوض في هذا الضرب من الفتن يكمن في البصيرة في دين الله، وتحقيق الخوف منه سبحانه، فمن خافه جل وعلا لم يقدم على منازعة على ملك يسفك في سبيل إقامته دماء المسلمين، وقد كان تحقيق الخوف من الله سبحانه والصدق في ذلك هو الباعث لابن عمر ﷺ في اجتنابه فتنة الاقتتال على الملك، والتي نشأت بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، فقد قال

(١) إعلام الموقعين (٤/٢٥٠).
(٢) فتح الباري (١٣ /٣١).

مروان لابن عمر: هلم يدك نبايع لك فإنك سيد العرب وابن سيدها، فقال له ابن عمر: ((كيف أصنع بأهل المشرق؟)) قال: تضربهم حتى يبايعوا قال: ((والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سببي رجل واحد))[١].

وتأمل معي ما رواه نافع قال: دخلت الكعبة مع عبد الله بن عمر ﷺ فسجد فسمعته يقول في سجوده: ((اللهم إنك تعلم لولا مخافتك لزاحمنا قومنا قريشا في أمر هذه الدنيا))[٢].

وهكذا من يوفقه الله سبحانه من الدعاة إليه سبحانه يوجه من حوله ومن تصلهم دعوته إلى التزود بزاد الخوف منه سبحانه، كما يرشدهم إلى حقيقة الدنيا ويرغبهم في الزهادة في جاهها الفاني، ويبين لهم أن ما يصطرع عليه الناس في فتنة التنازع على الملك في غالبه إنما هو طلب للرياسة والسلطان، وأن السلامة في الزهادة في ما خاض فيه من خاض من التناحر مبتغيا الزخرف الزائل.

يقول ابن عمر ﷺ في نصيحة وجهها لأهل زمانه وانتفعت به الأمة من بعده: ((إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا،

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٦/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٩)، قال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٢١٦/٣): وهو حسن. ورواه أيضا ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٩٠/١) بلفظ أن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبد الله بن عمر بعدما قتل عثمان فعرضوا عليه أن يبايعوا له قال : وكيف لي بالناس قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك. فقال: والله لو اجتمع علي أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم. قال: فخرجوا من عنده.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٦٤٦/٣ رقم ٦٣٧٠)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٢/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩١/٣١)، ورجاله كلهم ثقات إلا عبد العزيز بن أبي رواد فهو صدوق قاله الحافظ في التقريب (ص ٣٥٧ ترجمة ٤٠٩٦) وسكت عنه الحاكم ولم يعلق عليه الذهبي.

والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي هاتين الجرداوين))[١].

وقد يبتلى الداعية وطالب العلم بمن يدعوه للخوض فيما يكون من فتن أصلها التنازع على الملك، فيرغبه في المبادرة في تنصيب نفسه إماماً يبايع له، والداعية المحفوظ من الله في مسلكه ومنهجه ودينه من يجاهد هواه وبريق ثناء غيره عليه في هذا المقام ولو كان المثني محقاً.

قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم فقال لهم: ((أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق))؟ قالوا: إن خالف رجل قتل وما قتل رجل في صلاح الأمة فقال: ((والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه، فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها))[٢].

٥- اعتزاله العراك السياسي:

كانت الأحداث السياسية في الثلث الأخير من حياة ابن عمر تتوالى وتتسارع مجرياتها، ففي الحجاز ضيق أهل المدينة ومكة بالبيعة ليزيد بن معاوية، وفي العراق بعد ذلك مقتل الحسين بن علي ﷺ، وفي غضون ذلك قيام إمارة عبد الله بن الزبير ﷺ بمكة، وما تلا ذلك من عراك بين ابن الزبير وبين دولة بني أمية، وما واكب ذلك من قلاقل في العراق والشام، كل تلك الأحداث تترى وتتعاقب، وإمام العلم والتقوى عبد الله بن عمر ﷺ مشتغل بالعبادة والأخذ

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٨٦)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٧١-١٧٢)، وأبو نعيم في الحلية ج١ /٣٠٩-٣١٠) ورجاله كلهم ثقات إلا قبيصة بن عقبة فهو صدوق قاله الحافظ في التقريب (ص ٤٥٣ ترجمة ٥٥١٣) وقال بشار عواد في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٣/٢٣٧): إسناده صحيح.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥١) ورجاله ثقات.

بحظ وافر من العزلة مع قيامه بالدعوة من الوعظ والإرشاد والتعليم والإفتاء، فلم يشارك في نصرة أحد من المتنازعين.

فعن أبي العالية البراء[١] قال: ((كنت أمشي خلف ابن عمر وهو لا يشعر وهو يقول: واضعين سيوفهم على عواتقهم، يقتل بعضهم بعضا يقولون: يا عبد الله بن عمر أعط بيدك))[٢].

ولم يسع في مطالبات لنفسه أو تمكين لها فقد قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق قالوا: إن خالف رجل قتل وما قتل رجل في صلاح الأمة فقال: ((والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها))[٣]، وقال مروان لابن عمر:هلم يدك نبايع لك فإنك سيد العرب وابن سيدها فقال له ابن عمر:((كيف أصنع بأهل المشرق قال: تضربهم حتى يبايعوا قال: ((والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سببي رجل واحد))[٤].

هذا مع قيامه بدوام المناصحة لجميع من كان يمكنه إيصال نصحه لهم، فقد ناصح كما قدمنا أهل المدينة حينما عارضوا البيعة ليزيد، ومنهم من نكثها

---

(١) قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص٦٥٣ رقم ٨١٩٧): أبو العالية البراء بالتشديد اسمه زياد وقيل كلثوم ثقة من الرابعة مات في شوال سنة تسعين.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٩/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥١) وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥١) ورجاله ثقات.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٦/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٩)، وانظر سير أعلام النبلاء (٢١٦/٣). قال بشار عواد في تحقيقه سير أعلام النبلاء (٢١٦/٣): وهو حسن. ورواه أيضا ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٩٠/١) بلفظ أن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبد الله بن عمر بعدما قتل عثمان فعرضوا عليه أن يبايعوا له قال : وكيف لي بالناس قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك. فقال: والله لو اجتمع علي أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم. قال: فخرجوا من عنده.

كما سعى على وجه الخصوص في مناصحة الذين أبوا أن يبايعوا ليزيد بن معاوية من الصحابة كعبد الله بن مطيع والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم جميعا[1].

كما كان يحذر عموم المسلمين من الدخول في تلك الفتنة وبيّن لهم حقيقتها وخطرها وسبيل النجاة منها، قال ﷺ: ((إنما كان مثلنا في هذه الفتنة، كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضنا يمينا وبعضنا شمالا، فأخطأنا الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى تجلى عنا ذلك حتى أبصرنا الطريق الأول فعرفناه فأخذنا فيه، إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي))[2].

وهنا لابد من الجواب على سؤال ذي أهمية بالغة وهو: ما موقف الداعية إلى الله من المشاركة في المجال السياسي؟

فأقول وبالله التوفيق: أنه يمكنني الجواب على هذا التساؤل لكن بعد أن نبين حقيقتين وهما:

١- أنه يتحتم على كل داعية السعي في الإصلاح في الأرض من جمع الخلق على الحق وجمع قلوبهم عليه، وإخماد نار الفتنة فيما بينهم، والسعي في أن يكفوا أيديهم في الفتن ويحقنوا دماءهم.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨ /١٦٢-٢١٦).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٦/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٧١-١٧٢)، وأبو نعيم في الحلية ج١ /٣٠٩-٣١٠) ورجاله كلهم ثقات إلا قبيصة بن عقبة فهو صدوق قاله الحافظ في التقريب (ص ٤٥٣ ترجمة ٥٥١٣) وقال بشار عواد في تحقيقه سير أعلام النبلاء (٢٣٧/٣): إسناده صحيح.

٢- ونعني بالمشاركة في المجال السياسي تلك المشاركة التي تتضمن إيجاد المعاني التي ذكرتها، والتي هي حقيقة الإصلاح في الأرض، ولا نعني تلك المشاركة في المجال السياسي والتي قوامها الفرقة والاختلاف والتحزب والتباغض وربما التقاتل.

وبعد أن أصلنا للجواب على التساؤل السابق، نقول مجيبين عنه: إنه لا تخلو الأحوال المحيطة بالداعية في البلاد الإسلامية من حالين:

أ- أن يعيش الداعية في بلاد ليس لها إمام يجتمع الناس إليه، فأهلها متفرقون متحزبون يتقاتلون على الملك، فالواجب على الداعية والحالة هذه أمور:

١- اعتزال تلك الجمعات والفرق كلها لحديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قومٌ يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» [1]

(١) رواه البخاري كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الاسلام. رقم (٣٦٠٦)، مسلم في صحيحه كتاب الفتن: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال. رقم (١٨٤٧).

قال ابن بطال: ((فبان أن الجماعة المأمور باتباعها هي السواد الأعظم مع الإمام الجامع لهم، فإذا لم يكن لهم إمام فافترق الناس أحزابا فواجب اعتزال تلك الفرق كلها على ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام، ولو أن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت، فذلك خير له من الدخول بين طائفة لا إمام لها خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فساد الأحوال باختلاف الأهواء وتشتت الآراء))[1].

٢- القيام بواجب الدعوة لجميع من يمكنه نصحه إليه من المتنازعين بكف الأيدي وحقن الدماء والعودة إلى منهج علماء سلف الأمة، مع تحذير العوام من الدخول في تلك الفتنة والخوض فيها.

٣- المشاركة في نفع ذلك المجتمع المسلم المتنازع بكل وسيلة يمكن ايصال الخير من خلالها إليه مع حضور مجامعهم كصلاة الجمعة والجماعة وسائر ملتقياتهم التي ليس فيها فتنة واقتتال، وبهذا يتميز ويظهر الفقه الوسطي لحديث حذيفة المتقدم، حيث إنه قد فهم هذا الحديث قوم على غير ما أراد منه النبي ﷺ.

ب - الحال الثاني: أن يكون الداعية في بلاد لها إمام اجتمع الناس عليه، ولو كان هذا الإمام الذي بايعه أهل تلك البلاد مشتهرا بالفسق أو الظلم ففي هذه الحال.

١- إن أمره الإمام بالمشاركة في ضرب من ضروب المجال السياسي، فيجب على الداعية حينها طاعة ولي أمره، ولو كره ذلك فقد جاءت الأحاديث الصحاح عنه ﷺ بوجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله، وقد ذكرنا طرفاً من تلك الأحاديث:

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ /٣٦).

ومنها غير ما تقدم ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك »[١].

وقد جاء في رواية مسلم لحديث حذيفة أنه قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»[٢].

٢- أن يندب الإمام رعيته للمشاركة في العمل السياسي دون أن يختص الداعية أو يندبه على وجه التعيين إلى المشاركة في العمل السياسي فإني أرى أن الأجدر والأحرى للداعية أن يحجم عن المشاركة في المجال السياسي في هذه الحال، وهذا الإحجام في نظري هو الموافق لطريقة علماء السلف، وقد استنبطت الجواب على ما ذكرته من تساؤل من قراءتي الشمولية لهدي ابن عمر ﷺ في هذا المجال.

٦- حذره وتحذيره الناس من سفك الدماء:

لا ريب أن كل مسلم يعلم حرمة الدماء المعصومة وعقوبة سفكها في الآخرة، فالله سبحانه يقول: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال ﷺ: « كلّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا أو مؤمنٌ قتل مؤمنًا متعمّدًا »[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة: باب في وجوب طاعة الأمراء في غير معصية برقم (١٨٣٦).
(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة: باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق برقم (١٨٤٧).
(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم باب في تعظيم قتل المؤمن برقم (٤٢٧٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/١٦) من حديث أبي الدرداء والحديث صححه الألباني في سنن أبي داود رقم (٤٢٧٠). ومراده كما تعلم تشديد الوعيد بهذا الحديث وأمثاله، وليس مقصوده عليه الصلاة والسلام كفر قاتل المسلم عمدا فمذهب أهل السنة أن مرتكب الكبائر ومنها كبيرة القتل عمد مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته. انظر شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي (ص ٤١٧ -٤١٨).

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة ليس هذا البحث مجال إيرادها، والشاهد هنا أن الفتن تجمع أصول الشرور، ومن ذلك استحلال الدماء فإن الخائضين فيها لا يسلمون من التقاتل وسفك الدماء، وهم كما بينت من قبل يتأولون ما يقترفونه من سفك للدماء، وهذا التأول مزلق خطير به يجرؤ الخائضون في الفتن على قتل النفوس المعصومة، وربما فرح المنتصر في فتنة ما بما ناله من التمكين واغتبط بما حصل له من الفتك بخصومه، وقد جاء الوعيد عن النبي ﷺ لمن قتل مسلما واغتبط بذلك، فقد قال ﷺ: « من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»[1].

وقد قال بعض السلف في تفسير قوله ﷺ: « فاغتبط بقتله» هم الذين يقاتلون في الفتنة فيقتل أحدهم فيرى أنّه على هدًى لا يستغفر اللّه يعني من ذلك[2].

وها هو ابن عمر ﷺ يحذر المسلمين عموما من سفك الدم الحرام بغير حق، في زمان رأى فيه هذا الحبر الدماء تسفك بغير حلها، فقد روى البخاري عنه قال: ((إنّ من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدّم الحرام بغير حلّه))[3].

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم باب في تعظيم قتل المؤمن برقم (٤٢٧١)، وأبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن (٣٢٦/١) من حديث عبادة بن الصامت والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٣/٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه عن يحيى بن يحيى الغسّانيّ في كتاب الفتن والملاحم باب في تعظيم قتل المؤمن برقم (٤٢٧٢)، وأبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن (٣٢٦/١)، والطبراني في مسند الشاميين تحت رقم (١٣١١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الديات: باب قوله تعالى:{ ومن يقتل مؤمنا متعمّدًا فجزاؤه جهنّم } برقم (٦٨٦٣).

وقد ذكرنا من قبل أن خوف ابن عمر ﷺ من الله من أهم الأسباب التي حفظه الله بها من الدخول في الفتن، حيث أنه رأى ﷺ أن الدخول في الفتن يعني الوقوع في سفك دم حرام، وهو ﷺ من روى طرفا من الأحاديث التي نهت عن قتل نفس معصومة، وهو الذي دأب حياته كلها على تحذير الناس من سفك الدماء المعصومة ولو كانوا متأولين فيما يأتونه من سفك الدماء، وقد قدمنا ذكر رواية عنه، ومن ذلك أنه قيل: لو أقمت للناس أمرهم، فإن الناس قد رضوا بك كلهم فقال لهم: ((أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق قالوا: إن خالف رجل قتل وما قتل رجل في صلاح الأمة فقال: ((والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها))[(١)].

وقال مروان لابن عمر: هلم يدك نبايع لك فإنك سيد العرب وابن سيدها فقال له ابن عمر: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: تضربهم حتى يبايعوا قال: ((والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سببي رجل واحد)) [(٢)].

وكل أثر ذكرناه فيه نهيه عن الخوض في الفتن، دليل على تورعه عن سفك الدماء، ودليل على دأب حياته كلها في التحذير من ذلك.

وهكذا الداعية الوسطي المتبع لمنهج علماء سلف الأمة يجاهد نفسه على قطعها عن التشوف لكل مغنم سبيله الفتن، بل نحن في زمان تتضاعف فيه المسؤولية على الدعاة الوسطيين في أن يسيروا بالخلق في طريق العافية من

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥١) ورجاله ثقات.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٦/٣١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٩)، وقال بشار عواد في تحقيقه سير أعلام النبلاء (٢١٦/٣): وهو حسن. ورواه أيضا ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٩٠/١) بلفظ أن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبد الله بن عمر بعدما قتل عثمان فعرضوا عليه أن يبايعوا له قال : وكيف لي بالناس قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك. فقال: والله لو اجتمع علي أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم. قال: فخرجوا من عنده.

الفتن هادين لهم سبيل الرشاد، ولا يكون كالذين خاضوا غمار الفتنة من الدعاة في بعض البلاد الإسلامية، فزجوا بأنفسهم ومن تبعهم في لهب الفتن، فكانوا سببا في سفك دماء أتباعهم، ودماء من خالفهم أو نازعهم، زاعمين أنهم يسعون للإصلاح وقمع الفساد، والله سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلي يوم الدين.

يحسن بي بعد أن ذكرت مواقف الحبر عبد الله بن عمر ﷺ الدعوية من الأهواء والفتن، وألقيت الضوء على فقهها أن أذكر ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات التي أرى أنه من المناسب بيانها والعناية بها وتتمثل في:

أ- النتائج:

١- مكانة ابن عمر من النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وإمامته في العلم والدين والدعوة إلى الله.

٢- شدة حرصه ﷺ على إتباع السنة النبوية ودعوته إليها حياته كلها قولا وعملا.

٣- حذره من الأهواء والبدع وتحذيره من ذلك.

٤- مجاهدته لأصحاب الأهواء والبدع بقمع بدعهم وكشف باطلهم، وبدعوتهم إلى السنة النبوية.

٥- وسطيته في معاملة أهل الأهواء وفق السنة النبوية.

٦- حرصه على دعوتهم إلى السنة بشتى الأساليب والوسائل الشرعية.

٧- تحصينه من حوله ومن بعدهم من الأهواء والبدع وتنوع جهوده في ذلك.

٨- بصيرته بحقيقة الفتن وأسباب حصولها وحذره وتحذيره الناس من الوقوع في تلك الفتن وأسابها.

٩- دعوته من وقع في الفتن للخروج منها وكف اليد واللسان.

١٠- بذله الجهود المتواصلة في تعريف الناس بكيفية معاملة ولاة الأمور وفق الهدي النبوي من حيث بيانه حقوقهم.

ب- التوصيات:

١- ضرورة الاهتمام بدراسة سير الصحابة الكرام فهم خير سلف لهذه الأمة.

٢- التركيز على الأولويات التي ينبغي أن يربي عليها الدعاة، ومن أهم ذلك الاشتغال بالدعوة إلى المعتقد السلفي الوسط.

٣- أهمية ربـط الدعاة المعاصرين بهدي الصحابة فإن اتباعهم لهذا الهدي يحفـظ الدعاة بإذن الله من الانزلاق في طريق البدع والأهواء والفتن، ويعينهم على لزوم المنهج الوسطي في معاملة ولاة الأمور.

٤- إنّ مجال أثر العناية بالعقيدة والعلم الشرعي وإفادة الداعية من واسع عنايته بهما، يحتاج إلى مزيد من البيان من قبل الباحثين المتخصصين في مجال الدعوة، فليت البحوث تكتب تلو بحوث في هذا الباب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور

مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآداب الشرعية والمنهج المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدس الحنبلي. ط/ مكتبة ابن تيمية.

٣- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط/ الثالثة ١٤٠٩ هـ، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٤- الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا. ط/ دار المعرفة بيروت لبنان.

٦- الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور ذيب بن مصري القحطاني. ط/ ١٤٠٩هـ.

٧- الإبانة عن الشريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذموم المعروف بالإبانة الكبرى: لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، الناشر دار الراية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨- إرواء الغليل للألباني في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف محمد زهير الشاويش. ط/ المكتب الإسلامي.

٩- الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط/ دار الجيل – لبنان.

١١- الإعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي. ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

١٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر أيوب الرزعي المعروف بابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط/ دار الجيل ١٩٧٣م – لبنان.

١٣- الباعث في إنكار البدع والحوداث لعبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة، تحقيق: عثمان أحمد عنبر. ط/ الأولى ١٣٩٨ هـ، دار الهدى – القاهرة.

١٤- البداية والنهاية لابن كثير لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ، إعداد: عماد عامر. ط/ دار الحديث القاهرة.

١٥- البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي. ط/ دار الرائد العربي بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ.

١٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط/ دار الكتاب العربي – لبنان.

١٧- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨- تاريخ خليفة بن خياط لأبي عمر خليفة بن خياط الليثي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم – دمشق، ومؤسسة الرسالة – بيروت.

١٩- تاريخ دمشق لأبي القاسم ابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ط دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٥ هـ.

٢٠- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٢١- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي. مكتبة دار البيان ١٣٩٩هـ- سوريا.
٢٢- تفسير البغوي المسمى معالم التزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق: خالد بن عبد الرحمن العك – مروان سوار. ط/ دار المعرفة بيروت لبنان.
٢٣- تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي. تحقيق: محمد عوامة. ط/ دار النشر دار الرشيد سوريا.
٢٤- تلخيص أحكام الجنائز لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.
٢٥- تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ- لبنان.
٢٦- تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط/ مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة ١٤١٢هـ.
٢٧- الثقات لابن حبان أبي حاتم البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر – بيروت.
٢٨- الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال السيوطي، ط/ دار الفكر ١٩٩٣م – لبنان.
٢٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ. ط/ دار الفكر.
٣٠- جامع العلوم والحكم للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب. ط/ مؤسسة الرسالة.

٣١- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي، ط/ الأولى ١٩٥٢م. دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت.
٣٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم بن إسماعيل الأصبهاني تحقيق: د. محمد ربيع المدخلي والشيخ محمد بن محمود أبو رحيم. ط/ دار الراية للنشر والتوزيع ١٤١١هـ.
٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ ابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى ٤٣٠ هـ. ط/ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٣٤- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، حقق نصوصة وخرج أحاديثة وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط – عبد القادر الأرنؤوط. ط/ مؤسسة الرسالة.
٣٥- الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث – القاهرة.
٣٦- الزهد لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.
٣٨- السنة لأبي عبد الرحمن عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، تحقيق: الدكتور محمد سعيد بن سالم القحطاني. ط/ دار ابن القيم الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٩- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، دراسة وتحقيق: الدكتور عطية الزهراني. ط/ دار الراية للنشر والتوزيع.

٤٠- السنة لابن أبي عاصم للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى ٢٨٧ هـ ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، بقلم محمد ناصر الدين الألباني. ط/ المكتب الإسلامي.

٤١- السنة للخلال أحمد بن محمد بن هارون، تحقيق: عطية الزهراني، ط/ الأولى ١٤١٠ هـ دار الراية – الرياض.

٤٢- السنة لمحمد بن نصرالمروزي. ط/ المكتبة الأثرية باكستان الناشر دار الثقافة الاسلامة بالرياض.

٤٣- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق الأزدي السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط/ وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر.

٤٤- سنن ابن ماجه للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٣٧هـ، بإشراف فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ. طباعة وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر.

٤٥- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي – لبنان.

٤٦- سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي – خالد السبع العلمي. ط/ دار النشر دار الكتاب العربي بيروت.

٤٧- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي – الرياض.

٤٨- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط/ دار العاصمة.

٤٩- سير أعلام النبلاء للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للشيخ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي. ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.

٥١- شرح السنة للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير شاويش، المكتب الإسلامي – بيروت.

٥٢- شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسين علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط نصه وعلق عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط/ مكتبة الرشد الرياض.

٥٣- شرح لمعة الإعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد للشيخ محمد صالح العثيمين. ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٤- شرح النووي صحيح مسلم. ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٥- الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٦- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. ط/ دار الكتب العلمية – لبنان.

٥٧- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر.

٥٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط. ط/ دار النشر مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٩- صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار غراس - الكويت

٦٠- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط/ وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر.

٦١- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق: علي محمد عمر. الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة.

٦٢- عمد القاري شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني. ط/ دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

٦٣- العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت، ودار الخاني - الرياض.

٦٤- العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

٦٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز. ط/ المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز.

٦٦- الفتن لنعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد - القاهرة.

٦٧- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣ هـ.

٦٨- قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

٦٩- القدر لجعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف - الرياض.

٧٠- الكامل في ضعفاء الرجال لعبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط/ الثالثة، دار الفكر - بيروت.

٧١- لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي، دار صادر - بيروت.

٧٢- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩هـ. ط/ مطبعة السعاد مصر - دار صادر بيروت.

٧٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. ط/ دار الفكر ١٤١٢هـ - لبنان.

٧٤- مجموع الفتاوى لابن تيمية ط مؤسسة قرطبة.

٧٥- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون - لبنان.

٧٦- المستدرك على الصحيحين للأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط/ دار الكتب العلمية - لبنان.

٧٧- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.

٧٨- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ط/ الرسالة .

٧٩- مسند الحميدي عبد الله بن الزبير، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت. ومكتبة المتنبي - القاهرة.

٨٠- مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط/ مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ.

٨١- مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/ المكتب الإسلامي - لبنان.

٨٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى ٦٥٦هـ. ط/ دار ابن كثير - دار الكلم الطيب دمشق - بيروت.

٨٣- معجم الأوسط للطبراني سليمان بن أحمد أبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. ط/ دار الحرمين - القاهرة.

٨٤- معجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط/ مكتبة العلوم والحكم - العراق.

٨٥- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط/ دار الفكر ١٣٩٩هـ.

٨٦- المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة د: إبراهيم أنيس د:عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد بإشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ط/ الثانية.

٨٧- مناقب الشافعي للبيهقي. تحقيق السيد أحمد صقر. ط/ أولى ١٣٩١هـ

٨٨- منهاج السنة لشيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم. ط/ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لابي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت.

٩٠- هجر المبتدع لبكر عبد الله أبو زيد. ط/ دار ابن الجوزي.